

## مظاهر الحكمة الالهية في الكون من خلال رسائل النوردراسة تأصيلية

د. فرهاد ابراهيم اكبر الشواني

جامعة صلاح الدين كلية العلوم الإسلامية قسم الدراسات الإسلامية

غربت محمود سعيد

جامعة صلاح الدين كلية العلوم الإسلامية قسم الدراسات الإسلامية

Manifestations of Divine Wisdom in the Universe through  
the Rasael al- Nur: A Foundational Study

Dr. Farhad Ibrahim Akbar Al Shuwani

Salahaddin University

College of Islamic Sciences Department of Islamic Studies

Ghrbt Mahmood Saeed

Salahaddin University

College of Islamic Sciences Department of Islamic Studies

farhad.akbar@su.edu.krd

Ghrbtmahmood93@gmail.com

### ملخص البحث

يعرض هذا البحث دلالات الحكمة الإلهية في النظام الكوني ونظام الأرزاق في فكر النورسي، من خلال قراءة انتظام الكون بوصفه بناءً محكمًا قائمًا على القصد والعلم والإرادة، ويستند إلى أصل قرآني يقرر أن الخلق قائم على المشيئة الإلهية، وأن ما يُعرف بالقوانين الطبيعية لا تمثل قوة مستقلة، بل تعكس انتظام الفعل الإلهي وتبرز دلالة الحكمة الإلهية في النظام الكوني من خلال الإحكام الشامل الذي يظهر في ترابط مكوناته، حيث تنتظم الكائنات المختلفة ضمن بنية واحدة متناسقة، رغم تباين عناصرها، بما يفي المصادفة ويؤكد وحدة التدبير، كما يظهر هذا المعنى في اجتماع الأضداد وانسجامها، وفي انتظام الجزئيات الدقيقة كحركة الذرات، التي تجري ضمن نظام منضبط لا يخرج عن تقدير محكم. ويظهر وجه آخر للحكمة في القوانين الكونية التي لا تعمل بذاتها، بل تجري على نسق ثابت يعكس ثبات الإرادة الإلهية، حيث وُصفت الطبيعة بأنها شريعة إلهية كبرى ونظام لا نظام، قانون لا قدرة، الأمر الذي يبرز أن الانتظام ليس ناشئًا عن القوانين، بل هو أثر لحكمة تضبطها، كما تتجلى الحكمة في كون هذه القوانين تعبر عن معاني الأسماء الحسنى، من رحمة وعدل وحكمة وعلم، بما يجعل الكون ساحة لظهور هذه المعاني في صور متعددة مترابطة وفي جانب الأرزاق، تظهر الحكمة الإلهية في كون الرزق موزعًا وفق نظام يتجاوز المعايير المادية، حيث تتحقق كفاية الحاجات الأساسية رغم ضعف الأسباب، كما يتجلى ذلك في نظام التعاون الكوني، حيث تسهم عناصر الكون المختلفة في إيصال الأرزاق، في صورة تكشف عن وحدة المدبر وتكامل الأدوار، ويتضح كذلك أن تفاوت الأرزاق يحمل دلالة حكمية، إذ يرتبط بوظيفة الابتلاء من خلال التمييز بين الرزق الضروري المكفول، والرزق الزائد الذي يدخل في دائرة الاختبار، بما يهيئ مجالات لظهور معاني الشكر والصبر والقناعة، ويقابل ذلك أثر الحرص، الذي يؤدي إلى اضطراب هذا التوازن، في حين تمثل القناعة صورة من صور الانسجام مع هذا النظام، ويتعزز هذا الفهم بما ورد عند الشعراوي من بيان أن العطاء والمنع لا يُفهمان بمعايير ظاهرية، بل يرتبطان بحكمة إلهية تتجاوز إدراك الإنسان، وأن حقيقة الرزق ليست في كثرته، بل في أثره، وتظهر من خلال هذه المعاني صورة الكون بوصفه نظامًا محكمًا دالًا على الحكمة الإلهية، حيث يكشف الانتظام، والتوازن، وترابط الأجزاء،

وتكامل الوظائف، عن وحدة القصد وشمول التدبير، بما يجعل النظر في الكون مدخلاً لإدراك الحكمة الإلهية في الخلق الكلمات المفتاحية  
مظاهر، الحكمة الإلهية، النظام الكوني

## Abstract

This chapter presents the indications of Divine Wisdom in the cosmic order and the system of sustenance according to the thought of Bediuzzaman Said Nursi, through an analysis of the universe as a meticulously structured creation based on purpose, knowledge, and will. It is grounded in the Qur'anic principle that creation is established by divine will, and that what is commonly referred to as natural laws does not constitute an independent force but reflects the orderly action of God. The significance of Divine Wisdom in the cosmic system is evident in the comprehensive coherence of its components, where diverse beings are organized within a unified and harmonious structure, despite the variability of their elements, thereby negating randomness and affirming the unity of divine governance. This is further illustrated by the convergence of opposites, their harmonious interaction, and the precise behavior of particles, such as atomic motion, which occurs within a regulated system, representing vibrations that contribute to the writing of the cosmic signs. Another aspect of wisdom is that cosmic laws do not operate independently; they function according to a fixed order reflecting the constancy of divine will, with nature described as a great divine law and "system without an organizer, law without power. This emphasizes that order does not emerge from laws themselves but is the effect of wisdom governing them. Moreover, these laws manifest the meanings of the Divine Names, including mercy, justice, wisdom, and knowledge, rendering the universe a field in which these attributes appear in multiple interrelated forms. In the realm of sustenance, Divine Wisdom is reflected in the distribution of provision according to a system that transcends material considerations, ensuring the sufficiency of essential needs despite the weakness of causes, indicating merciful governance. This is also evident in the cosmic cooperation system, where various elements of the universe contribute to the delivery of sustenance, revealing the unity of the Divine Manager and the integration of roles. Furthermore, the variation in sustenance carries a wise significance, as it relates to the function of testing by distinguishing between essential, guaranteed provision and additional sustenance subject to trial, thus creating opportunities for the emergence of gratitude, patience, and contentment. In contrast, greed disrupts this balance, while contentment reflects harmony with the system. This understanding is reinforced by Muhammad Metwally Al-Shaarawy, who emphasized that giving and withholding cannot be interpreted by superficial standards, but are governed by divine wisdom beyond human perception, and that true provision is measured not by quantity but by its effect. These insights collectively portray the universe as a meticulously organized system that reflects Divine Wisdom, where order, balance, interconnectedness, and functional integration demonstrate the unity of purpose and comprehensiveness of divine administration, making the observation of the cosmos a gateway to understanding the wisdom of God in creation.

## المقدمة

تُعد مسألة الحكمة الإلهية من القضايا المركزية في الفكر الإسلامي، إذ ترتبط بفهم طبيعة الكون وغايته، وبالعلاقة بين الخالق والمخلوق. وقد أولى العلماء والمفكرون المسلمون عناية كبيرة لهذه القضية، محاولين الكشف عن مظاهر الحكمة الإلهية في نظام الكون وفي حياة الإنسان وبرز في هذا السياق فكر النورسي الذي قدّم قراءة تأملية للكون باعتباره نظاماً محكماً يدل على الخالق ووحدانيته. فالكون في نظره ليس بناءً عشوائياً، بل منظومة دقيقة تتجلى فيها آثار الحكمة الإلهية في انتظام الظواهر الطبيعية، وفي التوازن البيئي، وفي نظام القوانين الكونية، وكذلك في تفاوت الأرزاق بين الناس. ومن خلال هذه الرؤية يسعى النورسي إلى تحويل النظر في الكون من مجرد ملاحظة مادية إلى قراءة إيمانية تكشف عن المعاني الغيبية الكامنة وراء الظواهر الطبيعية، مما يجعل الكون مجالاً للتفكير في حكمة الله وقدرته

## أهمية البحث

يمثل هذا البحث دراسة تأسيسية لمظاهر الحكمة الإلهية في الكون ونظام الأرزاق، كما عرضها النورسي، حيث يرى أن النظام الكوني ليس مجرد ترتيب عشوائي أو قوانين طبيعية صماء، بل هو بناء محكم قائم على القصد والإرادة والعلم الإلهي. ويظهر هذا النظام في انتظام الكائنات المختلفة وترابط مكوناتها، بما يعكس وحدة التدبير الإلهي ويثبت حكمة الخالق في كل شيء، من حركة الذرات إلى انتظام المجرات، وصولاً إلى توزيع الرزق بين المخلوقات وتكتسب دراسة نظام الأرزاق أهمية خاصة لأنها تكشف كيف تتجلى الحكمة الإلهية في توفير الاحتياجات الأساسية رغم ضعف الأسباب، وفي توزيع الرزق وفق مبدأ الافتقار والابتلاء، بما يجعل الحياة ميداناً للشكر والقناعة والتوكل

## أسباب اختيار البحث

١. ندرة الدراسات التي تركز على القراءة التأصيلية للنورسي حول النظام الكوني والأرزاق، مع ربطها بالنصوص القرآنية.
٢. الحاجة إلى توضيح كيف يمكن للقوانين الكونية ونظام الأرزاق أن تكون أدوات معرفية لإدراك الحكمة الإلهية والتوحيد، بعيداً عن الفهم المادي أو العشوائي.
٣. إبراز مساهمة النورسي في إعادة تأصيل فكرة القوانين الكونية ونظام الرزق لتكون دليلاً مباشراً على وحدة القصد والحكمة في الخلق، كما يظهر في تنظيم الكون وتوزيع الأرزاق .

### إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في الكشف عن مظاهر الحكمة الإلهية في الكون من خلال تحليل نظامه العام، وما يقوم عليه من توازن دقيق، وقوانين كونية محكمة، ونظام رزق منظم، وذلك بهدف بيان مدى دلالة هذه المظاهر على وجود حكمة إلهية في الخلق والتدبير، بدل تفسيرها على أنها ظواهر طبيعية عشوائية أو خاضعة للمصادفة.

### أهداف البحث

يهدف المبحث إلى كل من الآتي:

١. تحليل مظاهر الحكمة الإلهية في النظام الكوني، وبيان كيفية ظهور الانتظام والتوازن والترابط بين مكوناته كدليل على التدبير الإلهي .
٢. دراسة نظام الأرزاق وفق منظور النورسي، وإبراز العلاقة بين العجز والرزق، ودور الابتلاء في تهذيب النفس الإنسانية، وتحقيق القناعة والشكر.
٣. تأصيل مفهوم القوانين الكونية ونظام الرزق بما يربط بين المظاهر الطبيعية والغائية الإلهية، وبيان أن الانتظام ليس ناتجاً عن المصادفة أو القوى الطبيعية، بل عن حكمة الله وشموله لكل شيء .

### خطة الدراسة

المبحث الأول: دلائل الحكمة الإلهية في النظام الكوني دراسة انتظام الكون وترابط مكوناته، وقراءة الكواكب والنجوم والذرات كدليل على التدبير الإلهي المبحث الثاني: مظاهر الحكمة الإلهية في التوازن البيئي ودلالاته إبراز التوازن البيئي كتجلي لاسم الله القدوس والحكيم، ودور الكائنات الحية وغير الحية في الحفاظ على النظام الكوني .المبحث الثالث: مظاهر الحكمة في القوانين الكونية نقد المنظور المادي للقوانين الطبيعية، وبيان أن القوانين الكونية تجليات لأسماء الله الحسنى، مع تطبيق الغائية على الظواهر الكبرى .المبحث الرابع: مظاهر الحكمة الإلهية في نظام الرزق تحليل توزيع الأرزاق وفق تدبير الله الحكيم، وبيان أثر التفاوت والابتلاء، وعلاقة الرزق بالقناعة والتوكل . ثم الخاتمة والنتائج وقائمة المصادر والمراجع

### المبحث الأول: المصطلحات

أولاً: المظاهر لغةً واصطلاحاً

المظهر لغةً معناه: ظهر الشيء بالفتح، ظهوراً: تبين. وأظهرت الشيء بينته، والظواهر أشرف الارض، يقال هاجت ظهوراً الارض، وذلك ما يرتفع منها ومعنى هاجت يبس بقلها<sup>(١)</sup>. وقال الليث: الظهور: بُدُو الشيء الخفي والظهور: الظَّفَرُ بالشيء والاطلاع عليه، يُقال: أظهر الله المسلمين على الكافرين: أي أعلاهم عليهم، وأظهرني الله على ما سرق مني أي أعثرني عليه ويُقال: "ظهر عني هذا العيب أي نبأ عني ولم يعلّق بي منه شيء"<sup>(٢)</sup> الظاهر: " هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة، ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص، أو ما ظهر المراد منه للسامع بنفس الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣] ، وضده الخفي وهو ما لا ينال المراد إلا بالطلب كقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]"<sup>(٣)</sup>

ثانياً : الحِكْمَةُ لغةً واصطلاحاً

تُعَدُّ كَلِمَةُ الحِكْمَةِ مِنَ المصطلحات المحورية ذاتِ الحضور البارز في المعاجم اللغوية والحقول المعرفية المتعددة، ولوقوف على دلالاتها لا بد من تفصيل معناها في اللغة والاصطلاح:

١. الحِكْمَةُ لغةً

تُعرَّفُ الحِكْمَةُ بأنها مصدرُ الفعلِ حَكَّمَ<sup>(٤)</sup> وتدور معانيها في قواميس اللغة حول العلم والإتقان والصواب، فقد ذكر الفيروزآبادي أنها تأتي بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل<sup>(٥)</sup> ويعرفها الجوهري بأن "الحُكْمُ أَيضًا الحِكْمَةُ مِنَ العِلْمِ. وَالْحَكِيمُ العَالِمُ وَصَاحِبُ الحِكْمَةِ"<sup>(٦)</sup>. يتضح من خلال ما سبق أن المعنى اللغوي لـ "الحِكْمَةُ" يرتكز على العلم الدقيق، والإتقان في العمل، والصواب في الحكم.

يتسع مفهوم الحِكْمَةِ اصطلاحاً ليعبر عن معانٍ أكثر عمقاً وتخصصاً بحسبِ السياق الذي تردُّ فيه وذلك كالآتي:

أ. التعريف العام والفلسفي: هي "معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم" (٧)

ب. التعريف من حيث الأثر والتطبيق: هي "صوابُ الأمر وسداده ووضوحُ الشَّيء في موضعه"، أو "علمٌ، وثقافةٌ، وإدراكٌ"، أو "كلامٌ يُقالُ لفظه ويجلُّ معناه"، أو "العِلَّة" كما في السؤال: "ما الحِكْمَةُ في ذلك؟"

ج. التعريف في الاصطلاح الشرعي الخاص: قد تأتي بمعنى "السُّنة النبويَّة" كما في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾، أو "الإنجيل" في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾

د. الحِكْمَةُ الإلهيَّة: هي "علَّةٌ يلتمسها الناظرون في أحوال الموجودات" (٨)

ثالثاً: النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظاماً ونظاماً ونظمه بانتظم وتنظم. ونظمت اللؤلؤ أي جمعت في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمتها، ونظم الأمر على المثل. وكل شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض، فقد نظمتها. والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر. والنظم: ما نظمتها من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدها نظمة. ونظم الحنظل: حبه في صيوائه. والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام. ونظام كل أمر: ملاكته، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم. الليث: النظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، كذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته. والنظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام، وجمعه نظم (٩).

رابعاً: الكوْنُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

١. الكوْنُ لُغَةً

يُعرَّفُ الكوْنُ في اللغة من خلال تتبع أصل جذره، ومعناه كمصدر، واستعماله المعاصر، على النحو التالي:

أصل المادة: "يرجع ابن فارس أصل الكلمة إلى معنى الحدوث والوقوع (كَوَنَ) الكَافُ وَالْوَاوُ وَالنُّونُ أَصْلٌ يُدُلُّ عَلَى الْإِخْبَارِ عَن حَدُوثِ شَيْءٍ، إمَّا فِي زَمَانٍ مَاضٍ أَوْ زَمَانٍ رَاهِنٍ. يَقُولُونَ: كَانَ الشَّيْءُ يَكُونُ كَوْنًا، إِذَا وَقَعَ وَحَصَرَ" (١٠)

معنى المصدر: يُعرَّفُ بأنه المصدر من الفعل (كَانَ) التامة، الدال على مطلق الوجود.

(١١) "الكوْنُ مَصْدَرٌ كَانَ التَّامَّةُ؛ يُقَالُ: كَانَ يَكُونُ كَوْنًا أَيْ وَجِدَ وَاسْتَقَرَّ"

الاستعمال المعاصر: يُستخدم اللفظ في اللغة المعاصرة للدلالة على العالم وجملة الموجودات

"كوْنٌ [مفرد]: ج أَكْوَانٌ (لغير المصدر): مصدر كان "

الكوْنُ: (فك) العَالَمُ، جُمْلَةُ المَوْجُودَاتِ الَّتِي لَهَا مَكَانٌ وَزَمَانٌ كَالْأَجْزَامِ 'كوْنٌ كَرْوِيٌّ' (١٢).

٢. الكوْنُ اصطِلَاحًا

1. التعريف العام: (الكوْنُ) الوُجُودُ المُتَطَلِّقُ العَامُّ (١٣) وعند أهل النظر (الفلاسفة والمتكلمون): هو مصطلح يدل على وجود العالم المخلوق تمييزاً له عن الخالق سبحانه. الكوْنُ: "عبارةٌ عن وجودِ العَالَمِ مِنْ حَيْثُ هُوَ عَالَمٌ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ حَقٌّ، وَإِنْ كَانَ مُرَادِفًا لِلْوُجُودِ المُتَطَلِّقِ العَامِّ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ، وَهُوَ بِمَعْنَى المَكْوَنِ عِنْدَهُمْ" (١٤)

2. الكون في الاستعمال العقدي الوصفي: يُستخدم لوصف العالم المشاهد بعظمته وسعته كدليل على قدرة الخالق.

(١٥) "الكوْنُ الفَسِيحُ المَلِيءُ بِمَلَائِيْنِ النُّجُومِ المُضِيئَةِ وَالشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ"

3. ماهية الكون عند سعيد النورسي وفق رؤية سعيد النورسي، الكون هو كتاب إلهي منظور يتجلى فيه النظام الإلهي وتظهر فيه معجزات القدرة الإلهية في كل جزء، من الذرة إلى الكواكب، بحيث يشهد كل جزء على وجود الله ووحديته، فالكون ليس مجرد ظواهر مادية، بل نصّ دلالي متكامل، كل كلمة وحرف ونقطة فيه يعكس حكمة الله وإبداعه، وترتبط كل جزئية بجميع الجزئيات الأخرى ضمن نظام محكم، ليدل على أن الكون كله في خدمة إرادة الله الحكيمة كما قال النورسي "في كل صحيفة من صحائفه مئات الكتب، وأدرجت في كل سطر منه مئات الصفحات، وخطت في كل كلمة منه مئات الأسطر، وتقرأ تحت كل حرف فيه مئات الكلمات، وحفظ في كل نقطة من نقاطه فهرس مختصر صغير يلخص محتويات الكتاب كله... فهذا الكتاب بصفحاته وأسطره بل بنقاطه يدل دلالة واضحة ساطعة على مصوره وكتابه... حتى أن مشاهدة الكتاب الكوني العظيم هذا وحدها كافية للدلالة على وجود كاتبه، بل تسوقنا إلى معرفة وجوده ووحديته بما يفوق دلالة الكتاب على نفسه أضعافاً كبيرة" (١٦)

"إن حروف هذا الكتاب ونقاطه فرداً فرداً أو مجموعة، يتلو كل منها بلسانه الخاص: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ويبين وجود الخالق العظيم ووحديته فكل ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جل جلاله" (١٧) يتضح مما سبق ان الكون عند النورسي هو نظام كوني متكامل يظهر فيه الإبداع الإلهي في كل مستوى من مستويات الوجود، وكل جزء فيه يعكس الحكمة والقدرة الإلهية، ويشهد على وجود الله ووحديته، وانطلاقاً من هذا التصور للكون بوصفه كتاباً إلهياً منظوراً، يصبح الإنسان مدعواً إلى تجاوز النظرة المادية الصرفة نحو قراءة واعية تكشف ما في الوجود من دلالات ومعانٍ فوظيفته لا تقتصر على الملاحظة، بل تمتد إلى التفكير الذي يحول المعرفة إلى إدراك عميق يقوده إلى الإيمان أما النظام الكوني: هو تأليف وترتيب لموجودات الكون في نسقٍ واحدٍ مترابط.

### المبحث الثاني: دلائل الحكمة الإلهية في النظام الكوني

يشكل النظام الكوني كتاباً مفتوحاً لمن تأمل، إذ يحوي إشارات واضحة على قدرة الله وعظيم حكمته، يقابله القرآن الكريم ككتاب مسطور يُفسر هذا الكون ويكشف عن معانيه الغائبة ويبين ان النظام الكوني ليس مجرد مادة صماء، بل منظومة متكاملة تدل على وجود خالق عليم حكيم، وتدعو الإنسان إلى التأمل، والفهم، والتسبيح (١٨). بذلك يتناول هذا المبحث شواهد الحكمة الإلهية في النظام الكوني من خلال ستة مطالب متتابعة وهي كالآتي:

#### المطلب الأول: الأبعاد الدلالية في تفسير النشأة الكونية

ينطلق النورسي من الآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ليقدم تفسيراً متعدد الأبعاد يبرز فيه حكمة الخلق والتكوين، موضعاً كيف يمكن للآية أن تخاطب العامة والعلماء والفلاسفة على حد سواء من خلال ثلاثة أبعاد:

أولاً: الرد على الفلاسفة منهم الذين افترضوا أن الكون تشكل تدريجياً من مادة أزلية وعقل أول، وأن الحياة والنظام الكوني نتج عن قوى مجردة بلا إرادة، من خلال تفسيره لكلمة رتقاً نفهم ان "السماء كانت صافية لا سحب فيها والأرض جدياء لحياتة فيها فالذي فتح ابواب السماء بالمطر وفرش الارض بالخضرة هو الذي خلق جميع ذوي الحياة من ذلك الماء وكانه حصل نوع من المزوجة والتلقيح بينهما، وما هذا إلا شأن القدير ذي الجلال الذي يكون وجه الأرض لديه كستان صغير والسحب التي تحجب وجه السماء معصرات لذلك البستان، يفهم هكذا فيسجد امام عظمة قدرته تعالى" (١٩). لذا فإن الخلق فعل إلهي مباشر قائم على القدرة المطلقة والإرادة، المعبر عنها بالأمر الإلهي ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] (٢٠) ثانياً: وفي مقام الإدراك العقلي تفيد كلمة رتقاً العالم الكوني بأن "السموات والأرض كانتا كتلتين وعجنتين طريتين لانفع لهما، فبينما هما مادة لأمخلوقات لهما ولا من يدب عليهما، بسطهما الفاطر الحكيم بسطاً جميلاً ومنحهما صوراً نافعة وزينة فاخرة وكثرة كاثرة من المخلوقات"، لتظهر إحاطة علمه وسعة حكمته (٢١).

والتأمل في مظاهر الكون، فضلاً عن الإيمان بقدرة الخالق، دعوة إلى عبادته، فالقرآن يقرن هذه المظاهر بالحديث عن نعم الخلق للإنسان لتحريك الطبيعة الإنسانية النبيلة لشكر الخالق (٢٢)

ثالثاً: تفيد كلمة رتقاً الفلاسفة المعاصرين من خلال كون "كرتتا الارضية وسائر السيارات التي تشكل منظومتنا الشمسية كانت في البداية ممتزجة مع الشمس بشكل عجيب لم تفرش بعد، ففتق القادر القيوم تلك العجينة ومكن فيها السيارات كلاً في موضعه، فالشمس هناك والارض هنا وهكذا وفرش الارض بالتراب وانزل المطر من السماء ونثر عليها الضياء من الشمس واسكنها الانسان هكذا يفهم ويرفع رأسه من حماة الطبيعة قائلاً: آمنت بالله الواحد الأحد" (٢٣) وهذه هي نظرية السديم عند علماء الفلك الذين يثبتون أن الشمس والكواكب والارض كانت قطعة واحدة، وأن الشمس كانت كرة نارية، وفي أثناء سيرها السريع انفصلت عنها أرضنا والكواكب السيارة الأخرى، ولكل منها مدار بحسب تأثير الجاذبية، وهي تجري في الفلك، وهي تسعة أفلاك دون السموات المطبقة التي يعيش فيها الملائكة (٢٤) بما يوافق قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ويتقاطع هذا التفسير مع تفسير ابن عاشور في النظر إلى قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] بوصفه دليلاً على القدرة الإلهية في نشأة الكون. حيث بين أن الرتق هو الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء، والفتق هو الانفصال والتباعد بينها، وأن الآلية تحتمل أن تكون السموات والأرض جسماً ملتصقاً متصلاً ثم انفصلت أجزاءه، كما تحتمل أن تكون كل منهما في حال من الانغلاق ففتقها الله بما يظهر من مظاهر الخلق والتكوين، ويرى أن هذه المعاني جميعاً ترجع إلى الاستدلال ببده الخلق على قدرة الله ووحديته وحكمته (٢٥) يتضح مما سبق أن النظر في خلق الله ليس مجرد معرفة علمية، بل هو وسيلة لإيقاظ القلب والروح، ولترداد قلوبنا يقيناً بقدرة الله وحكمته. وما علينا إلا التفكير في هذه الآيات، وشكر نعم الله، والطاعة لمولانا الواحد الأحد، مستلهمين من مظاهر الكون درس التواضع أمام عظمة الخالق، كما قال

تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [النساء: ٨٢] أي أفلا يتدبرون هذه الأدلة، وهم يشاهدون عيانا حدوث المخلوقات شيئاً فشيئاً، فيؤمنون بالخالق، ويتروكون منهج الشرك؟ وفي كل شيء له آية... تدل على أنه واحد<sup>(٢٦)</sup>

### المطلب الثاني: دلالة الحكمة الإلهية في نظام الأجرام السماوية

إن النظر إلى السماء وما فيها من أجرام كان عبر العصور باباً واسعاً للتفكير في عظمة الخالق وحكمته وهذا المنهج الذي يرى في الكون كتاباً منظوراً شاهداً على خالقه ليس وليد العصر الحديث، بل أصل راسخ في الفكر الإسلامي، كما يلخصه الإمام ابن القيم الجوزية قائلاً "فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع عبادته؛ فالسما سقفه والأرض بساطه والنجوم زينته والشمس سراجها... والمطر سقيهم والنبات غذاؤهم... وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه وقدرته... فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه"<sup>(٢٧)</sup> هذا الإطار الذي ينظر إلى السماء كنظام متكامل وظيفته تحقيق "صلاح العالم وقوامه"، هو ذاته المنطلق الذي يبني عليه الإمام النورسي رؤيته المعاصرة، مفصلاً مظاهر الحكمة الإلهية في كل نظام سماوي على حدة وهو كالآتي:

أولاً: نظام النجوم

"أستمع إلى النجوم أيضاً، إلى حلو خطابها الطيب اللذيذ لترى ما قرره ختم الحكمة النير على الوجود إنها تهتف وتقول معاً بلسان الحق: نحن براهين ساطعة على هيبة القدير ذي الجلال"<sup>(٢٨)</sup> خلق الله سبحانه وتعالى النجوم بنظام دقيق وبتقدير محكم، فهي ليست مجرد نقاط مضيئة في السماء، بل تحمل في ترتيبها ووظائفها دلائل على حكمة الخالق ورحمته، ففي خلق النجوم فوائد: منها تزيين السماء، كما قال عز وعلا: ﴿لَوْزِينَا السَّمَاءَ دِينًا بِمَصَابِيحٍ﴾ ومنها رمى الشياطين بها كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ رِجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَمِنْهَا الْإِهْتِدَاءُ فِي الظُّلُمَاتِ الْبُحْرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧] (٢٩) إذ قسمها سبحانه إلى نوعين: نوع يظهر ويختفي في أوقات محددة، ونوع دائم الظهور كالأعلام التي يهتدي بها المسافرون في الطرقات المجهولة<sup>(٣٠)</sup>، فهذا النظام المتقن لا يمكن أن يفهم إلا بوجود مهندس عليم كما يقول النورسي "هب أن ملايين المصابيح الكهربائية تتجول في مدينة عظيمة، دون نفاذ للوقود، ولا انطفاء، ألا يدل هذا بإعجاب وتقدير على وجود مهندس حاذق، وكهربائي بارع يدير مصنع تلك الكهرباء؟"<sup>(٣١)</sup> لذا يقول في موضع آخر "انظر إلى انتظام المخلوقات في وجه السماء، وافهم أوزان المصنوعات بموازين دقيقة... فإنها تبين للأنظار أن صانعها وخالقها الجليل يظهر ربوبيته الجليلة بإجرائه هذه الأمور بميزان دقيق خاص"<sup>(٣٢)</sup>، ففي سيرها بيان آثار القدرة والحكمة الإلهية إذ جعل الخالق العليم سبحانه النجوم فرقتين: فرقة منها لا تريم مراكزها من الفلك ولا تسير إلا بسيره، وفرقة أخرى مطلقه تنتقل في البروج وتسير بأنفسها غير سيرها بفلكها، فلكل منها مسيران مختلفان: أحدهما عام مع الفلك نحو الغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق فهذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لا تعدوه كما يقول الفلكيون، إن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه هذه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم، من مجال نجم آخر، أو يصطدم بكوكب آخر، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض المتوسط باخر في المحيط الهادي يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد وبعيد جدا ان لم يكن مستحيلاً<sup>(٣٣)</sup> وبناءً على ذلك، أفند النورسي دعوى الصابئة وعباد النجوم مشيراً إلى أن كثرتها الهائلة تخضع جميعها لنظام واحد متقن يدل على خالق واحد عليم حكيم: قائلاً بلسان النجوم "في مجموعنا سكوت في سكون، وحركة في حكمة، وزينة في هيبة، واستواء خلقه في انتظام وإتقان صنعة"<sup>(٣٤)</sup> وهكذا كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكائنات، علم أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبر به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مدبرات مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه"<sup>(٣٥)</sup> ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، مع ما يعززها من آيات أخرى تبين آثار الرحمة والحكمة الإلهية: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، ﴿سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]

واجب الإنسان وتأملاته

يتضح من هذا كله أن من واجب الإنسان أن يتدبر النظام الكوني بعقل ووجدان، ويستنبط الحكمة من نظام النجوم، فيعرف عظمة الخالق، وحدانيته، وتقديره المتقن لكل شيء، كما يجب أن يبتعد عن الغفلة والتفديس المفرط للمخلوقات، ويعترف بوحدانية الخالق، مستقيماً من هذا التدبر في تعزيز الإيمان وتوجيه سلوكياته بما يتوافق مع الحق والعدل.

استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، يرى النورسي أن القمر آية كونية تحمل حكماً ومعاني سامية كالآتي:

١. إظهار القدرة الإلهية "أنظر الى السماء وتمعن في القمر وحده...، تجد أن حركاتها جميعاً منسقة أجمل تتسابق وأحكمه ومقدرة أعظم تقدير بيد قدير حكيم، إذ تتعلق عليها حكم غزيرة، وثيقة الصلة بالأرض" (٣٦) ويشير القرآن إلى هذا النظام الدقيق في قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] هذه الآية الكريمة تعبر عن نور من الاعجاز كما يقول النورسي "إن تقدير القمر تقديراً دقيقاً جداً، وتدويره حول الأرض وتدبيره وتدويره وإعطاءه أوضاعاً وإزاء الأرض والشمس، محسوب بحساب في منتهى الدقة والعناية، تتحير منه العقول، يرشد كل ذي شعور يشاهد هذه الدقة في التقدير أن يقول: إن التقدير الذي ينظم هذه الأمور على هذه الشاكلة الخارقة ويقدرها تقديراً دقيقاً، لا يصعب عليه شيء مما يوحي أن الذي يفعل هذا قادر على كل شيء" (٣٧)

٢. دليل على وحدة الخالق

"القمر نافذة واسعة جداً تبين وجود الله سبحانه، وتظهر وحدانيته، وتعلم عن كمال قدرته وعظمة سلطنته" (٣٨).

٣. ميزان للزمان وتنظيم الحياة البشرية

خلق الله سبحانه وتعالى القمر بنظام دقيق وعجيب، ليكون ميزاناً للزمان ومنظماً لحياة البشر. كما قال سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ} [يونس: ٥]، فقد وضع القمر ليتيح للإنسان ضبط مواقيت حياته وحساب الزمن بسهولة، ويكون أداة لتحديد الأوقات وموازن الحياة اليومية (٣٩) كما قال النورسي "والقمر كأنه عقارب ساعة، مشدودة بالأرض تدلنا على الزمان والأوقات، وقد أعطيت له مهام أخرى عدا كونه ساعة للأرض في منازل أخرى من هذا الفضاء" (٤٠) بذلك فإن كل ما فيه مرتبط بالحق، وفق حكمة ومنفعة لحياة الخلق ونظام معاشهم، فلا عبث فيه ولا خلل (٤١) "وما يدل على ذلك طلوعه إذ يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياءً - وإن كان مقتبساً من الشمس - حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم" (٤٢). من خلال ما سبق يمكن للإنسان أن يدرك: قيمة الوقت: كل لحظة تمضي هي فرصة لا تعوض أهمية التنظيم والانضباط: الاعتماد على أوقات محددة لتحقيق التوازن بين العمل والراحة والعبادة التأمل في حكمة الخالق: يظهر نظام القمر قدرة الله في ترتيب الكون بدقة، فيتعلم الإنسان أن لكل شيء فيه غاية وحكمة.

٤. مظهر للجمال الكوني:

التشبيه القرآني بالـ(العرجون القديم) يثير خيالاً نورانياً يدل على جمال التدبير الإلهي ويقود إلى الإقرار بوحدانية الخالق (٤٣). بذلك فهل كل هذا النظام والإحكام الذي خص الله به القمر في حركاته المحسوسة، ودوراته المكتوبة، ومنازله المقدره، وأقداره المسخرة، وأنواره المكتسبة، وأطواره المرتقبة، أثر من آثار المصادفة العمياء ... (٤٤)؟

ثالثاً: النظام الشمسي

تظهر الحكمة الإلهية في الشمس بنظامها ووظيفتها الدقيقة؛ فليست العبرة بحجمها أو مادتها، بل بما يظهر فيها من انتظام مقصود إذ "إن الانتظام والنظام مرآة لمعرفة الصانع الجليل" قال تعالى ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦) وهو تعبير يلفت إليه النورسي بوصفه مفتاحاً لمعان عميقة ففي تعبير السراج كما يقول "تصوير العالم بصورة قصر، وتصوير الأشياء الموجودة فيه في صورة لوازم ذلك القصر، ومزيناته، ومطعوماته لسكان القصر ومسافريه، وإحساس أنه قد أحضرتها لضيوفه وخدامه يد كريم رحيم، وما الشمس إلا مأمور وسراج منور، ففي تعبير السراج تنبيه إلى رحمة الخالق في عظمة ربوبيته وإفهام إحسانه في سعة رحمته فتصبح الشمس في هذا السياق جزءاً من نظام ضيافة كونية، يهدف إلى تعريف الإنسان بكرم خالقه، لا مجرد عنصر في معادلة فيزيائية صامتة. كما ان في جريانها " إخطارات للتصرفات المنتظمة في اختلاف الليل والنهار وتتوابع الصيف والشتاء"، أي أن حركة الشمس ليست حركة عشوائية، بل جريان منضبط يترتب عليه انتظام الزمن والفصول، بما ينفي العبثية ويثبت الحكمة والتقدير (٤٥) ٣٧٩، كما قال تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] فدلت الآية على أن هذا الجريان محكوم بتقدير إلهي دقيق، صادر عن قدرة وعلم محيطين، لا عن صدفة أو عبث (٤٦) وهذا التركيز على "وظيفة السراج" وحكمته البالغة يجد أساسه التحليلي في التراث الإسلامي، حيث فصل علماء كالإمام ابن القيم الجوزية القول في المصالح والحكم المترتبة على هذا النظام، معتبرين الكون بيتاً مبنياً بإتقان، والشمس سراجها فيقول: "إذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني والشمس سراجها وما فيه من تسخير الشمس واختلاف مطالعها

ومغاربها لإقامة دولة الليل والنهار وفصول العام... وكم من حكمة في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة التي بها نظام مصالح من عليها.. وكذلك الحكمة في تنقل الشمس؛ فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد لفانت مصالح العالم ولما وصل شعاعه إلى كثير من الجهات، فافتضت الحكمة الباهرة أن جعلت تطلع أول النهار من المشرق... ثم لا تزال تغشى وجهها بعد وجه حتى تنتهي إلى الغرب... فتأخذ جميع الجهات منها قسطاً من النفع" (٤٧) إن هذا التحليل الدقيق الذي يقدمه ابن القيم للمنافع المترتبة على حركة الشمس الظاهرية، هو المضمون العملي لما يسميه النورسي وظيفية السراج، وتتجلى هذه الوظيفة علمياً في الآلية الدقيقة التي لا تعتمد على الشمس وحدها، بل على علاقتها بالأرض عبر نظام محكم يقوم على دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس مع ميلان محوري ثابت، فهذا النظام بالغ الدقة هو الذي يحول طاقة السراج إلى مواقيت منتظمة ودورات مناخية صالحة للحياة، مقدماً بذلك البرهان المادي على الحكمة الباهرة التي لا يمكن أن تصدر إلا عن خالق واحد حكيم، أما الفلسفة المادية فتصورها عن الشمس هو "نار عظيمة متحركة على نفسها تطايرت منها أرضنا وسيارات هي منظوماتها وارتبطت بالجاذبية جارية في مداراتها فلا تفيدك إلا حيرة في دهشة؛ وعظمة صماء؛ وهذا ما تقوله الفلسفة المادية العمياء" (٤٨) من خلال هذا النظر في النظام الشمسي عند بديع الزمان سعيد النورسي يعالج في الإنسان قبل كل شيء مشكلة الغفلة والاضطراب الداخلي، أي أن الإنسان حين ينظر إلى الكون نظرة مادية بحتة قد يشعر بالقلق أو العيبية أو الحيرة، لأنه يرى حركة بلا معنى ووجوداً بلا غاية لكن عندما يتحول النظر إلى تأمل في النظام والانتظام، كما في جريان الشمس وتعاقب الليل والنهار، ينكشف له أن كل شيء مضبوط بحكمة ورحمة، فيزول شعور العشوائية، ويتحول الحيرة إلى يقين، والقلق إلى طمأنينة.

### المطلب الثالث: نظام كوكب الأرض

يُعدّ نظام الأرض أحد أبرز الشواهد التي يؤسس من خلالها النورسي لحججه في تأصيل العقيدة ونقض التصورات المادية أو العشوائية، وذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: انتظام الأرض كبرهان على الحكمة الإلهية

يرى النورسي أن نظام الأرض بما فيه من حركة دقيقة وتوازن مدهش يشهد على قصد وتقدير، وينفي نشوءه عن المصادفة أو الفوضى؛ فالأرض ليست جرمًا ساكنًا، بل كيان ضخم يتحرك في الفضاء مع محافظة دقيقة على مساراته وتوازنه وشروط الحياة على سطحه، وهذا دليل على حكمة بالغة في الخلق والتدبير لا يمكن أن تصدر عن عشوائية أو مصادفة عمياء (٤٩) "فالارض جعلها الخالق الحكيم وسطا صالحا للعيش الهادي المطمئن، وملاها بالكوز والمنافع المختلفة، وسخرها لخير الإنسان، وأوجد فيها الجماد والمعادن والأنهار والحيوان والنبات، وجعل لكل مخلوق غاية وحكمة، ولم يخلق ما فيها عبثاً، ويسر لكل شيء فيها وسائل الحياة والرزق والدوام والبقاء مدة العيش قال الله تعالى: ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٠] كما تدل على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوحَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، وكقوله: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١٠-١١] وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥] أي من كل صنف حسن من أصناف النبات، وقوله: ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ أي قدرنا الأرض وألقينا فيها الرواسي وأنبتنا فيها أصناف النبات الحسنة، لأجل أن نبصر عبادنا كمال قدرتنا على البعث وعلى كل شيء وعلى استحقاقنا للعبادة دون غيرنا قوله تعالى ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [لق: ١١] قوله (كذلك الخروج): معناه أن الله تبارك وتعالى يبين أن إحياء الأرض بعد موتها بإنبات النبات فيها بعد انعدامه واضمحلاله، دليل على بعث الناس بعد الموت بعد كونهم تراباً وعظاماً. فقوله: (كذلك الخروج) يعني أن خروج الناس أحياء من قبورهم بعد الموت كخروج النبات من الأرض بعد عدمه" (٥٠) كما يبين النورسي أن القدرة التي تُدبر حركة الأرض بهذا الإحكام العجيب هي بعينها القادرة على إعادة الأجساد إلى الحياة يوم البعث؛ إذ يشير ان "جسماً ثقيلًا كالأرض يقطع في الدقيقة الواحدة مسافة ثمانٍ وثمانين ومائة ساعة تقريباً بحركته السنوية" (٥١) فمثل هذا التدبير الدقيق لجرم بهذه الضخامة يكشف عن قدرة لا يُعجزها شيء، ويجعل إحياء الإنسان على ضعفه أمراً جليّ الإمكان في ميزان العقل. من سبق يتضح إن التأمل في نظام الأرض بما فيه من انتظام دقيق وتوازن بديع ليس مجرد نظير علمي عابر، بل هو دعوة صامتة لإعادة ترتيب وعي الإنسان تجاه نفسه ووجوده. فهذا الكون الذي يسير بهذا الإحكام لا يمكن أن يكون مجالاً للعبث، بل هو نظام مقصود يحمل في انتظامه رسالة واضحة: أن للحياة غاية، وللإنسان مسؤولية، وللوجود نهاية يعود إليها الجميع ومن هنا، فإن الواجب على الإنسان أن يخرج من أسر الغفلة والانشغال السطحي، وأن يجعل من هذا النظام الكوني باباً للتفكير واليقين، فيرى في انتظام الأرض تذكيراً دائماً بالقدرة الإلهية، وفي توازنها دعوة إلى استحضار المصير.

ثانياً: النظام النباتي دليل على الحكمة الربانية

يرى النورسي أن النباتات في تنوعها وتتسقها تمثل مظهرًا واضحًا للحكمة الإلهية، إذ يقول "فجميع تلك النباتات الزاهية... تعلن بصورها المنتظمة وبأشكالها الموزونة: نحن معجزات صانع واحد حكيم... وشهداء على وحدانيته" (٥٢) كما أن "كل صنعة بدیعة ليست إلا لوحة إعلان تُفصح عن أوصاف ذلك الصانع البديع" (٥٣) ويؤكد أن هذا الإتقان لا يمكن أن يصدر عن قوة فاقدة للعلم أو الإرادة قائلاً "من لم يكن مالكاً لقدرة مطلقة، وحكمة مطلقة، وعلماً مطلقاً، لا يمكن أن يتحكم فينا" (٥٤) ويُعزِّز هذا المعنى قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْأَعْدَعِ﴾ [الطارق: ١٢] وذلك "أن النبات شيء لين ينتهي بأدنى مس، ثم إن الله تعالى بلطفه صدع له الأرض اليابسة الصلبة، وأخرجه منها غير منثنٍ ولا منكسر؛ ليعلموا أن مدبره حكيم؛ فيلزمهم به التوحيد. وجعل منافع الأرض بمنافع السماء متصلة، إذ الأرض إنما تتصدع للنبات إذا أصابها المطر من السماء؛ فيكون في ذلك إنباء أيضاً أن مدبرهما واحد، ولولا ذلك لم تتصل منفعة إحداهما بالأخر" (٥٥) وهكذا، فإن النص التفسيري يقدم برهاناً جزئياً ومادياً وهو عملية انشقاق الأرض للنبات اللين ليثبت ما ذهب إليه النورسي في رؤيته الكلية بقوله: "كأنما الأرض رأس مخلوق عظيم فيه مائة ألف فم، وكل فم له مائة ألف لسان، وكل لسان يبين مائة ألف برهان على الواجب الوجود، الواحد الأحد" (٥٦)

#### المطلب الرابع: دلالة الحكمة الإلهية في الظواهر الجوية

يقرأ النورسي الظواهر الكونية لا بوصفها مجموعة ظواهر مادية صماء، بل كآيات ذات دلالة ورسائل هادفة وينطلق منهجه من كشف المفارقة العقلية بين طبيعة الفاعل المادي، الجامد فاقد الشعور، وبين الفعل الصادر عنه، الذي يتسم بأقصى درجات الحكمة والغاية. ليثبت الحكمة الإلهية في الظواهر الكونية كما سنبينها في الآتي:

أولاً: نظام السحاب والمطر

تظهر الحكمة الإلهية في هذا النظام من خلال دقته وانتظامه وفوائده، إذ يجري وفق سنن محكمة تنفي العيبية ومن أبرز فوائده إحياء الأرض بعد موتها، وسقي الأنعام والناس، وتوفير أسباب الرزق والمعيشة، كما قال تعالى: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، ويجري هذا النظام عبر أسباب مادية دقيقة تتمثل في تبخر المياه من البحار، ثم تكاثفها في السحب، ثم نزولها مطراً بإذن الله ضمن سنن كونية محكمة (٥٧) كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨]. وهذا الانتظام الدقيق في تكوين السحاب وسير الرياح وإنزال المطر يدل على أن هذا النظام ليس عشوائياً، بل هو نظام محكم قائم على التدبير والتسخير بذلك فكيف لشيء جامدٍ خالٍ من الشعور أو الإرادة، فاقدٍ للأهلية الذاتية، أن يقوم بنظام بهذا الإحكام والغاية المقصودة؟ وهذا بدوره يكشف عن حكمة بالغة في التدبير ودقة في التنظيم، يظهر فيهما معنى الحكمة والقدرة في تلازم واتساق فأما القدرة المطلقة، فتظهر بوضوح في الأفعال الخارقة للعادة المادية؛ فالقدرة القاهرة هي التي تملأ عالم الجو وتفرغه بين الغينة والغينة، و تجمع شتات جزينات الماء المنتشرة لتؤلف منها "خزائن أمطار واسعة سعة الجبال وضخامتها إن هذا الإيجاد من التفريق، والجمع بعد الشتات، هو البرهان المشاهد على سلطان وهيمنة لا تحدها الأسباب المادية. وأما الحكمة البالغة، فتظهر بشكل مستقل في القصدية الدقيقة والميزان المحكم للظاهرة. فالحكمة لا تكمن في مجرد إنزال المطر، بل في توجيهه الهادف بأمر من حاكم مدبر ذي ألطاف وإحسان ليكون مسعفاً بها مواضع من الأرض محتاجة إليها (٥٨)، كما عبر عنها النورسي في موضع آخر "أنه مثقل بمنافع بعدد شأبيبه ويحمل تجليات رحمانية بعدد زخاته، ويظهر حكماً بقدر رشحاته، ويرى أن تلك القطرات العذبة اللطيفة المباركة تخلق في غاية الانتظام وفي منتهى الجمال والبهاء وبخاصة البرد الذي يرسل - وينزل حتى صيفاً بانتظام وميزان؛ بحيث أن العواصف والرياح العاتية التي تضطرب من هولها الكتل الضخمة الكثيفة - لا تخل في موازنة ذلك البرد ولا انتظامه... فهذا الماء الذي هو جماد بسيط لا يملك شعوراً، يستخدم في أمثال هذه الأعمال الحكيمة، وبخاصة استخدامه في الإحياء والتروية... فهذا الغيث إذا ما هو إلا رحمة متجسمة بعينها، ولا يتم صنعه إلا في خزينة الغيب لرحمة (الرحمن الرحيم)، وهو بنزوله وانصبابه على الأرض يفسر عملياً وبوضوح الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (سورة الشورى، الآية ٢٨) (٥٩). علاوة على ذلك، تظهر الحكمة في الميزان الدقيق الذي تنتظم به مراحل تكوّن المطر بالترتيب المنظم لهذه المراحل، كما تصفه الآية: ﴿يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾، لا يُعد مجرد مظهر من مظاهر القدرة فحسب، بل هو فعل إلهي مقصود ومحسوب يكشف عن تدبير دقيق. ولترسيخ هذا المعنى، يستعير النورسي تشبيه السحاب «بالجنود المنتشرين، فتجتمع بأمر الله وتتألف» و«جنود منصاعين للأوامر، يجتمعون ويتفرقون بأمر الله» (٦٠)، ليدل على وجود أمر ونظام وطاعة، وهي خصائص تتمثل جوهر الحكمة والتدبير. من هنا فواجب الإنسان أمام هذه الرحمة والحكمة الإلهية أن يقابلها بما يليق بها من: الإيمان والتسليم: الاعتراف بأن هذا النظام المحكم

صادر عن حكمة ورحمة إلهية الشكر: شكر الله على ما فيه من نعمٍ متجددة تحفظ الحياة وتيسرها التفكير والاعتبار: التأمل في هذا الإتيان لزيادة اليقين والإدراك بعظمة الخالق العباد والطاعة: لأن من ظهر في خلقه هذا الإحسان والتدبير يستحق أن يُعبد وحده الانتفاع المسؤول: استخدام النعم دون إسراف أو فساد في الأرض

ثانياً. نظام تصريف الرياح

يُقدم النورسي برهاناً دقيقاً على الحكمة الإلهية من خلال تحليل نظام الرياح والهواء، منطلقاً من منهجه القائم على كشف النظام والقصد في ظواهر تبدو في ظاهرها فوضوية أو عشوائية. فهو ينظر إلى "هذا الهواء الجامد الذي لا حياة له ولا شعور ولا ثبات له ولا هدف، وهو في اضطراب دائم؛ وهيجان لا يسكن، وذو عواصف وأعاصير لا تهدأ"، ليرى كيف تبرز بسببه مئات الألواف من الأعمال والوظائف والنعم والإمدادات العامرة بالحكمة والرحمة والإتيان. ويستنتج من هذه المفارقة استنتاجاً بديهاً: "أنه ليست لهذه الرياح الدائبة حركة ذاتية، فلا تتحرك بذاتها أبداً وإنما يحركها أمر صادر من أمر قدير عليم مطلق وحكيم كريم مطلق، وكأن كل ذرة من ذراته تهتم وتسمع - كالجندي المطيع كل أمر صادر من لدن ذلك الأمر وتدركه فتتقاد إليه، وتقوم بمهمة تنفس الأحياء جميعها وتساهم في إدامة حياتها، وتشارك في تلقيح النباتات ونموها، وتعاون في سوق المواد الضرورية لحياتها، وسوق السحب وإدارتها وسير السفن التي لا وقود لها"<sup>(١١)</sup> ولتفصيل مظاهر هذه الحكمة ودلالاتها، يوضح النورسي أنها تظهر عبر نظامين متكاملين التيسير والتصريف وبينهما كالاتي:

١. نظام التيسير: يشير هذا المفهوم أن وظائف الرياح ليست نواتج عشوائية لحركتها، بل هي أسباب مهيأة بدقة لخدمة الحياة، ويتضح ذلك في كون الرياح تقوم بوظائف كبرى، مثل تلقيح النباتات وجعل الهواء صالحاً لتجديد أنفاس الأحياء، إضافةً إلى دورها في سوق السحاب بما يهيئ لإنزال الماء الذي يبعث الحياة في الأرض بعد موتها، تيسيراً للرزق واستمراراً لدورة الحياة.

٢. نظام التصريف لا تقتصر الحكمة الإلهية على تحديد الغايات، بل تشمل السيطرة والتحكم الكامل في حركة هذه العناصر، حيث يرى النورسي في تصريف الرياح والسحاب حكمة بالغة، إذ لا تتحرك هذه العناصر عبثاً، بل كجنود أطاعوا الأوامر فترقوا للراحة ثم يُجمعون لتلقي الأوامر من جديد في تدبير دقيق<sup>(١٢)</sup> وهكذا، فإن حركة الهواء والرياح، التي قد تبدو للمشاهد السطحي قمة الفوضى والاضطراب، هي في حقيقتها نظام محكم يتم تيسيره لغايات حكيمة ورحيمة، ويتم تصريفه وتوجيهه بأمر مباشر، مما يقطع بأن وراء هذا النظام الجامد ظاهرياً، حكمة وقدرة وعلم مطلق لرب حكيم قدير.

### المطلب الخامس: نظام الفعالية المهيمنة على الكون

يرى النورسي من خلال تفسيره الكوني أن الكائنات في تغير دائم، وأن التغير لا يعني الفوضوية أو غياب قواعد ثابتة، بل تعبير عن دوام الفعل الحكيم. فيقول: "تبدلت الأمور وتغيرت جميع الأشياء، فلا ثبات، بل الكل يتغير ويتجدد"<sup>(١٣)</sup> وفي ضوء هذا التجدد الدائم، يطرح النورسي سؤال سرّ الفعالية المحيرة الجارية في الكائنات وحكمتها، ولماذا لا تستقر الموجودات في حالة سكون بل تتجدد وتتغير باستمرار، مستنداً إلى قوله تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ليجيب على هذا السؤال باختصار من خلال بيانه لحكمتين:

الحكمة الأولى: تجليات الأسماء الإلهية

يرتكز التفسير الأول للنورسي على ضرورة تجلي الأسماء الإلهية في مرآة الكائنات، ويقرر أن: الأسماء بحد ذاتها لا بد لها من الظهور، أي تستدعي إظهار نقوشها، وتقتضي مشاهدة تجليات جمالها في مرايا نقوشها وإشهادها، بمعنى أن تلك الأسماء تقتضي بتجدد كتاب الكون، أي تجدد الموجودات أننا فأننا باستمرار دون توقف، أي أن تلك الأسماء تقتضي كتابةً الموجودات مجدداً وببلاغة حكيمة ومغزى دقيق بحيث يظهر كل مكتوب نفسه أمام نظر الخالق جل وعلا وأمام أنظار المطالعين من الموجودات المألقة للشعور ويدفعهم لقراءته، فالكون في تصويره (كتاب إلهي متجدد)، يكتب باستمرار بيد القدرة، ويُقرأ بالعين الواعية لأولي الألباب<sup>(١٤)</sup>.

الحكمة الثانية: المحبة والشوق الإلهي

يركز النورسي في الحكمة الثانية على البعد الجمالي والعاطفي الرفيع في الفعل الإلهي، حيث يؤكد أن "الفعالية الموجودة في المخلوقات قاطبة نابعة من لذة، ومن شهية، ومن شوق، بل إن في كل فعالية منها لذة، بل كل فعالية هي بحد ذاتها نوع من اللذة"، ويمضي ليؤسس رؤية إلهية تُناسب مقام الألوهية، فيقول: "فله المثل الأعلى، فهناك شفقة مقدسة مطلقة، ومحبة مقدسة مطلقة، تليقان به سبحانه، وتلائمان غناه المطلق، وتعالیه وتقدسه، وتوافقان كماله المطلق... ثم إن هناك شوقاً مقدساً مطلقاً يليق به، أت من تلك الشفقة المقدسة والمحبة المقدسة، وهناك سرور مقدس ناشئ من ذلك الشوق المقدس" في مقابل هذا ينتقد النورسي التفسير المادي للكون، ويرى أنه أخفق في النفاذ إلى مغزى الفعالية

الكونية فيقول "وحيث أن الفلسفة والعلم تجهلان هذه الحكمة الدقيقة في الفعالية الجارية في الوجود، خلط أصحابها الطبيعة الصماء والمصادفة العشوائية والأسباب الجامدة في غمرة هذه الفعالية البصيرة العلمية الحكيمة، فما اهتموا إلى نور الحقيقة، بل ضلوا ضلالاً بعيداً" (٦٥) ويظهر بذلك أن هذا النظام ليس اعتباطياً، بل يعكس كمال الحكمة الإلهية، وجمال المقصد الرباني، بما يفضي بالإنسان إلى الإيمان المعرفي والتسليم القلبي. ويتضح من استعراض النظام الكوني أن كل مظاهر الخلق، من نشأة السماوات والأرض، إلى الأجرام السماوية، والنظام الأرضي، والظواهر الجوية، والتعاون الكوني، والفعالية المستمرة "عبر ومواعظ لمن يعقل ويتدبر وينظر، ليدرك الأسرار والعجائب، ويستدل بما فيها من إتقان وإحكام على قدرة الخالق المبدع، ووحدانية الإله المدبر، ورحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك من كمال الحكمة واكتمال الكون الدال على وجود الله، وأنه إله واحد، وإله كل شيء". ويجسد الإمام النورسي من خلال هذه الدلالات الربط بين الكون المنظور والكتاب المسطور، مؤكداً وحدة الخالق وكمال حكمته، ومدعياً الإنسان للتأمل والتسييح، وصولاً إلى المعرفة التامة بالله والإيمان المطلق (٦٦).

### المبحث الثالث: مظاهر الحكمة الإلهية في التوازن البيئي ودلالاتها

يبرهن النورسي على وجود الخالق وصفاته العليا عبر استقراره لمفهوم التوازن البيئي في الكون، فمن خلال بيان أسس هذا التوازن وآليات عمله يستخلص الدلالات العقلية والإيمانية التي تثبت أن هذا النظام المحكم ليس مجرد ظاهرة طبيعية، بل هو تجلٍ مباشر لحكمة الخالق وعدله وقداسته فأشكالية الخلق والتنظيم الكوني لا تُحلُّ بإسنادها إلى "الطبيعة" الصماء، الأمر الذي يفضي إلى محالات عقلية، بل إن حلها يكمن في إدراك أن التوحيد ليس مجرد تسليم قلبي، وإنما هو "الحل العقلي الوحيد الذي يرفع هذه الاستحالات" (٦٧)، ولأجل توضيح ذلك بصورة وافية نتحدث عن هذا المبحث من خلال المطالبين الآتيين:

#### المطلب الأول: أسس التوازن البيئي وآليات عمله

قبل الخوض في الدلالات الفلسفية، لا بد من بيان الآليات العملية التي تحفظ للكون توازنه البيئي فالكون في منظور النورسي معمل عظيم دائم الحركة وشبيهه بفندق واسع، أودار ضيافة تملأ وتخلى بلا انقطاع علماً أن دار ضيافة بهذه السعة وبهذه الكثرة الكاثرة من العادين والرائحين، تمتلئ بالنفائيات والانقاض هذا كان من شأنه أن يغرق الكون في النفائيات والفوضى، فإن لم تعمل يد التنظيف والتنسيق فيها عملاً دائماً أدت تلك الأوساخ إلى اختناق الإنسان واستحالة عيشه في المقابل فاننا لا نكاد نرى أثراً للنفائيات حيث ترمى في مكائن تحويل بمجرد ظهورها، وتحليلها إلى مادة نظيفة. فهذا يدلنا كما يقول النورسي أن الذي يراقب هذا المعمل إنما يراقبه بكل عناية وإتقان، بذلك "فالطهر والنقاء والصفاء المشاهد في قصر العالم البديع هذا ماهولاً نابع من تنظيف حكيم مستمر" (٦٨) بذلك فإن استمرارية الحياة تعتمد على أنظمة تتجاوز مجرد الأكل والشرب، وهذا ما أكدته الشعراوي بقوله "لأنك حين تنتظر إلى الكون ستجد أن مزاجه متنوع؛ ومقومات الحياة ليست هي الأكل والشرب فقط؛ بل هناك توازن بيئي قد صممه الحق تعالى، وهو الأعم من جميعاً بما خلق؛ ولم يخلق إلا طيباً، وكل شيء في الكون له عطاء مستمر يُشع في الجو" (٦٩) إن هذا التوازن البيئي المصمم الذي يشير إليه الشعراوي، هو ما يفصله النورسي بدقة في آيتين رئيسيتين متكاملتين تعملان دون توقف للحفاظ على هذا النظام:

أولاً: آلية التطهير الشامل

إن أولى دعائم استمرارية الحياة في هذا القصر العالمي هي وجود عملية تنظيف حكيم مستمر، ومن تطهير دقيق دائم، فالطهر والنقاء والصفاء المشهود في هذا الكون البديع ليس حالة سكون، بل هو نابع من هذه الديناميكية المستمرة. ولولا هذه المراقبة الدائمة للنظافة والعناية المستمرة بالطهر، لكانت الأرض قد اختنقت بأجوائها الموبوءة، ولهلكت آلاف الأنواع من الكائنات الحية في غضون فترة وجيزة (٧٠). ويمكن رصد هذه الآلية في مستويات متعددة:

#### 1. المُحَلِّلات الكبرى

في تحليله للنظام البيئي يقدم النورسي رؤية متميزة لدور الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة، متجاوزاً النظرة البيولوجية الصرفة إلى فهم غائي وهادف. فهو لا يرى هذه الكائنات مجرد كائنات مفترسة، بل يصوغ لها دوراً وظيفياً دقيقاً في منظومة الخلق، واصفاً إياها بأنها (موظفات صحيات ومأمورات للتنظيف) فعلى اليابسة: تقوم هذه الكائنات بمهمة حيوية ومنظمة تتمثل في تنظيف وجه الأرض يومياً من جثث مليارات من الحيوانات البرية والطيور ولولا هذا الدور الذي تؤديه، لتراكمت الجيف وحولت الكوكب إلى منظر كئيب أليم يهدد الحياة. ويفسر النورسي الكفاءة الفائقة لهذه الكائنات في تحديد أماكن الجثث من مسافات شاسعة (بأنها تتم بسوق من إلهام رباني) وفي البحار: الكائنات البحرية المفترسة مسؤولة عن الحفاظ على صفاء وجه البحر الذي لولاها لكان يورث الكآبة والحزن. من خلال تنظيمها لاعداد الكائنات البحرية، فعندما تضع سمكة واحدة ملايين

البويضات، يصبح دور المفترسات ضرورياً للحفاظ على التوازن في البحر<sup>(٧١)</sup>. بهذا فأن هذا الافتراض لا يعد عشوائياً بل هو آلية حكيمة لضبط التوازن ومنع الانفجارات السكانية التي قد تدمر النظام البيئي وهكذا في فكر النورسي لا يُعد الافتراض أو استهلاك الجيف فعلاً عنيفاً أو فوضوياً، بل هو إنه نظام دقيق وموجه يحفظ للطبيعة نقاءها وللحياة استمراريتها، ويعكس تجلياً لأسماء الله الحسنى ك (القُدوس) و(الحكيم) في أدق تفاصيل الخلق.

## 2. المُحلّلات الدقيقة:

يمتد هذا الدور ليشمل كائنات قد تبدو للإنسان تافهة أو ضارة لكنها تقوم بوظائف هادفة منها النمل موظف بجمع شتات القطع الصغيرة للنعم الإلهية وصيانتها من الامتھان، بالإضافة إلى دوره كموظف صحي يجمع جثث الحيوانات الصغيرة، بل إن الذباب نفسه، الذي يُنظر إليه غالباً كرمز للقدارة، يُقدّم هنا ككيميائي حاذق وماكينة تصفية؛ فهو لا ينقل الجراثيم، بل "يهلك تلك الجراثيم المضرة ويمحيها بمصها لها وأكلها، ويحيل تلك المواد السامة إلى مواد أخرى"، فيحول دون سريان كثير من الأمراض<sup>(٧٢)</sup>، والعلم الحديث كشف لنا عن مستويات أعمق وأدق لهذه الكيمياء الإلهية على المستوى الميكروسكوبي الذي لا تراه العين والذي يتجلى بوضوح في عمل البكتيريا التي تحفظ أساس الحياة في التربة وتؤدي دوراً حيوياً لا غنى عنه في التوازن البيئي من خلال دورات كيميائية معقدة منها: «بكتريا التكافلية: وهي هامة جداً في إيجاد عملية توازن بين دورة النتروجين الجوي الذي يتحول إلى مركبات نيتروجينية معقدة داخل التربة وبين الأنواع الأخرى من البكتريا»<sup>(٧٣)</sup>. وهكذا يتضح أن ما وصفه النورسي بـ (الوظيفة الصحية والكيميائية) للكائنات الدقيقة ليس مجرد رؤية إيمانية، بل هو حقيقة عملية تمتد من الحشرات المنظورة إلى عوالم البكتيريا الخفية فالدور الذي يقوم به الذباب في تطهير السطح، تقوم به البكتيريا في تخصيب العمق، وكلاهما شاهد على نظام دقيق يؤدي فيه أصغر المخلوقات أدواراً حيوية لا غنى عنها لاستمرارية الحياة. التطهير غير العضوي: لا تقتصر هذه الآلية على الكائنات الحية، بل تشمل العناصر الطبيعية فالرياح تطهر وجه الأرض من النفايات، والسحاب يرش روضتها بالماء الطاهر فتسكن الغبار والتراب، ثم ينسحبان بنظام ليعود للسماء صفاؤها<sup>(٧٤)</sup>.

## ثانياً. آلية الموازنة الدقيقة الميزان الكوني

إلى جانب النظافة، يقوم التوازن البيئي على (موازنة عامة وميزان حساس، وعملية وزن دقيق) تهيمن على كل جوانب الكون، هذا الميزان الشامل هو الضامن ضد الفوضى، ولولاه لأدت بويضات سمكة واحدة أو بذيرات زهرة واحدة إلى إخلال شامل بالنظام البيئي<sup>(75)</sup>. ويتأكد بأقوى صورة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القدر: ٤٩] إن هذا التأكيد الإلهي مطلق في شموله؛ فبنية الآلية اللغوية تؤكد أن قانون القدر أي المقياس الدقيق والميزان المحدد في الحجم والوزن والشكل ينسحب على كل مخلوق بلا أي استثناء، مما ينفى وجود أي شيء في الكون يخضع للمصادفة أو يخرج عن هذا النظام المحكم<sup>(76)</sup>، فهذا التقدير الدقيق هو الترجمة العملية للميزان الذي تحدث عنه النورسي. ويتجلى هذا الميزان في عدة مستويات منها:

١. المستوى الفلكي: أي التوازن الدقيق بين الكواكب السيارة في سرعتها ومساراتها، حيث إن أي زيادة أو نقصان طفيف في سرعة الأرض لكانت تقذف بقاطينها إلى الفضاء.

وهو ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

٢. المستوى الحيوي: التوازن الرائع بين تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها على الأرض، بما يزيد على أربعمائة ألف نوع، مثلاً ببيض السمك التي تعد بالآلاف، أو بذور الخشخاش التي تزيد على العشرين ألفاً، لو تركت هذه الكتلة دون ميزان دقيق يوازنها بالوفيات، لأخلت بتوازن البحر والأرض في يوم واحد.

٣. المستوى العضوي والذري: الانسجام التام والتوازن في أعضاء الكائن الحي وأجهزته، بل وفي حجيرات الجسم والكريات السابحة في الدم وصولاً إلى تحولات الذرات<sup>(٧٧)</sup>. وهكذا، فإن التوازن البيئي ليس مفهوماً مجرداً، بل هو حقيقة عملية قائمة على آليتي التطهير والموازنة، اللتين تعملان بتكامل مذهل في كل مستويات الوجود، من الذرة إلى المجرة.

## المطلب الثاني: الدلالات العقلية والإيمانية للتوازن البيئي والكوني

إن إثبات وجود هذا النظام البيئي المحكم ليس غاية في حد ذاته، بل هو منطلق لبرهان عقلي وإيماني أعمق فهذا النظام البديع ليس وليد مصادفة عمياء أو طبيعة صماء، بل هو لسان ناطق يشير بوضوح إلى حكمة مُنظّمه الإلهية، وتتجلى هذه الحكمة في دالتين محوريتين:

١. تجلي الأسماء الحسنى

إن كل آلية من آليات التوازن البيئي هي في الحقيقة تجلٍ لاسم من أسماء الله الحسنى، ودليل عليه: فعل التطهير الشامل هو تجلٍ أعظم من تجليات اسم القدوس الأعظم، فاسم القدوس الذي يعني المنزه عن كل نقص، يقتضي أن يكون ملكه طاهرًا نقيًا، ويرى ذلك التجلي حتى في أعظم دوائر الكون ووسعها ومن هذا المنطلق لم تعد النظافة مجرد سلوك مرغوب، بل أصبحت قيمة إيمانية كبرى ترتبط بهذا الاسم القدسي<sup>(٧٨)</sup>، كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ))<sup>(٧٩)</sup> كما ان فعل الموازنة الدقيق هو تجلٍ أعظم لاسمي العدل والحكمة، فالعدالة الكونية لا تظهر فقط في الحشر الأكبر، بل هي مشاهدة في كل ذرة من ذرات هذا العالم كما قال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وفعل التنظيم والانتظام هو تجلي من تجليات اسم الحكم والحكيم، والحكمة الإلهية تدور حول (محور الاقتصاد وعدم الإسراف)، وتأتي آيات سورة الرحمن لتؤكد هذه الحقيقة وتكرر الأمر بالميزان، لتكشف عن قيمته العظمى في نظام الكون<sup>(٨٠)</sup>: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ... وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

ب. دلالة التوحيد كضرورة عقلية لتفسير التوازن البيئي

إن عظمة هذا البرهان تكمن في أنه لا يترك خيارًا منطقيًا آخر، فإذا لم يُسند هذا النظام الشامل (التطهير، الموازنة، التزيين، التنظيم) إلى خالق واحد أحد، فإننا نقع في مستنقع من الاستحالات العقلية. فالتفسير المادي يقتضي أحد أمرين، وكلاهما باطل وهما: إما أن تكون كل ذرة وكل حشرة وكل نجم على علم ومعرفة بتطهير هذا الكون العظيم وتزيينه وأن يلاحظ الأمور وفقها ويقدر على التحرك، وهذا يعني إضفاء صفات الربوبية على كل مخلوق أو أن يكون هناك مجلس شورى واسع سعة الكون كله مكون من كائنات لا حصر لها، من الذرات إلى النجوم، لتتسيق هذه العمليات الهائلة التي وردت سابقا "وهكذا يصل سالك الكفر الى مئات من أمثال هذه الخرافات السخيفة والمحالات السوفسطائية كي يظهر التزيين المحيط والتنظيف الشامل الظاهر في الارحاء كافة اي لا ينشأ محال واحد بل مئات الالوف من المحالات"، لأنهما يفترضان تعدد المصدر دون مقتضى فكما أنه من المحال أن نفس وجود الضوء في كل قطرة ماء بوجود شمس داخل كل قطرة، كذلك من المحال تفسير نظام الحكمة والعدل والتطهير المنتشر في الكون بغير إسناده إلى حكيم واحد، وعادل واحد، وقدوس واحد كما قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ [الأنبياء: ٢٢] بذلك فإن العدالة والاقتصاد والطهريست مجرد حقائق قرآنية، بل هي سنن إلهية جارية في الكون، وديناميات إلهية شاملة تدور رحى الموجودات عليها فالإنسان الذي يقترب الظلم والإسراف ويتجاهل النظافة، لا يرتكب خطأ فرديًا منعزلًا، بل يضع نفسه في حالة نشاز وتصادم مع السنن الكونية كلها<sup>(٨١)</sup> لذا يصبح الحفاظ على التوازن البيئي ليس مجرد حاجة للحياة، بل واجبًا يمليه العقل والإيمان، ودليلاً على وعي الإنسان بمكانه الصحيح في هذا الكون المنظم.

### المبحث الرابع: مظاهر الحكمة في القوانين الكونية

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] هذا المبدأ القرآني الأصيل، الذي يرسخ حقيقة الخلق بوصفه فعلاً إبداعياً مباشراً صادراً عن إرادة قادرة، يشكل المنطلق ذاته الذي يبني عليه النورسي رؤيته الكونية. فمن خلال تمييز منهجي دقيق بين القانون باعتباره أمراً اعتبارياً ذهنياً، والإرادة بوصفها مصدرًا حقيقيًا مؤثرًا، يؤكد رحمه الله أن الخلط بينهما هو أصل المغالطات المادية التي تنسب الخلق والتأثير إلى طبيعة عمية أو قوانين صماء. وانطلاقاً من هذا التمييز، يقدم النورسي تفسيراً فلسفياً وإلهياً للقوانين الكونية، إذ يرى أن ما يصفه الخطاب المادي بـ الطبيعة ليس فاعلاً مستقلاً ولا قوة مبدعة، بل هو جملة من القوانين الاعتبارية الجارية على الأشياء وفق مشيئة الله، وهذه القوانين بما تمثله من انتظام شامل وثبات بديع، تتحول إلى دليل ظاهر على الحكمة الإلهية لا على العشوائية أو المصادفة<sup>(٨٢)</sup> بذلك يهدف هذا المبحث إلى تحليل الكيفية التي يعيد بها النورسي تأصيل مفهوم القانون الكوني ليكون دليلاً على الحكمة الإلهية ووحداية القصد، من خلال مطلبين متكاملين وهما كالآتي:

#### المطلب الأول: تفكيك المنظور المادي للقوانين الكونية

يرتكز النقد النورسي للفلسفات المادية على إبراز التناقضات المنطقية التي تقع فيها حين تُسند الإيجاد للطبيعة أو المصادفة ويقوم هذا النقد على عدة أسس، تبدأ بتحديد حقيقة القوانين، وتمتد بنفي الفاعلية عن الطبيعة، وتنتهي بإثبات وحدة القصد والغاية في الكون:

١. الطبيعة ليست فاعلاً، بل شريعة إلهية كبرى يرى النورسي أن الطبيعة ليست ذاتاً قائمة، بل قانون ناتج عن إرادة الله حيث يقول: "الطبيعة هي شريعة إلهية كبرى أوقعت نظاماً دقيقاً بين أفعال وعناصر وأعضاء جسد الخليقة المسمى بعالم الشهادة هذه الشريعة الفطرية هي التي تسمى بسنة

الله والطبيعة، وخالصة مجموع القوانين الاعتبارية الجارية في الكون" ويصف الطبيعة بأنها أمر اعتياري ذهني كما أنها ليست مؤثراً حقيقياً ولا مصدرًا لوجود الأشياء، بل مجرد اسم جامع لنظام وضعه الخالق كما في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]

٢. القوانين الكونية تظهر كقانون لا قدرة يصرح النورسي بأن هذه القوانين لا تملك القوة الفاعلة، بل وظيفتها ضبط ما خلقه الله: هي مطبوعة مثالية، وليست طابعة؛ نقش لا نقاشة قابلة للانفعال لا فاعلة، مسطر لا مصدر، نظام لا نظام، قانون لا قدرة<sup>(٨٣)</sup> ويظهر هذا المعنى جلياً في ما نشاهده في الكون؛ إذ تسير الأجرام في مسارات منتظمة لا تحيد عنها، الأمر الذي يدل على وجود قدرة تحفظ هذا النظام وتدبره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١] فإذا اختلف هذا النظام هل تستطيع قوى الأرض كلها أن تُعيد انحراف الأرض إذا خرجت عن مسارها؟ أو أن تُعيد انحراف الشمس إذا خرجت عن مسارها؟ إن هذا العجز يكشف أن وراء هذا الانتظام قوة حقيقية ممسكة به<sup>(٨٤)</sup> وهذا ما أشار إليه النورسي أن القوانين الكونية ليست قوى فاعلة بذاتها، بل هي مجرد نظام يضبط ما خلقه الله؛ فهي قانون لا قدرة، ونظام لا نظام، مما يدل على أن الانتظام المشاهد إنما هو أثر لحكمة عليا تدير الكون

3. قصور القوى الطبيعية

إن انتظام الكون ودقته في حركته وتوازن قواه يدل على وجود نظام محكم لا يمكن إرجاعه إلى القوى الطبيعية بوصفها أسباباً مستقلة، لأن هذه القوى مهما بلغت من الدقة تبقى عاجزة عن الإحاطة الكاملة بالكون أو ضبطه على هذا المستوى من الإتقان يظهر هذا المعنى بوضوح في قانون الجاذبية والتوازن الحركي في الكون، حيث ترتبط الأجرام السماوية بقوة جذب دقيقة تحفظ مساراتها من التشتت أو التلاشي، وتمنعها من الاصطدام أو الاضطراب، ومع ذلك فإن هذا النظام لو ترك لقوة الجذب وحدها دون ضابط أعلى لأدى إلى تكتل الكون أو اختلال توازنه، كما أن الحركة الدورانية للأجرام تولد قوى نابذة تكافئ القوى الجاذبة، ومن هذه الحركة المستمرة ينشأ ما يسمى: التوازن الحركي، وهذا من آيات الله الدالة على عظمته يقول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] عمد، جمع عمود، ولكنكم لا ترون هذه العمدة.. (بغير عمد ترونها) قال بعض العلماء: هذه إشارة إلى قوى الجذب فيما بين المجرات، والكواكب، والكتل والجاذبية في الأرض أشار الله إليها بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١]، فمن جعل هذه الأشياء التي على سطح الأرض تستقر عليها، وتتجذب إليها؟ ما هو الوزن في حقيقته؟ الهواء منجذب إلى الأرض، والبحر منجذب إلى الأرض، وكل ما على الأرض منجذب إليها، ولو أن الإنسان طار في الفضاء، فوصل إلى نقطة انعدام الجاذبية، لانعدم وزنه<sup>(٨٥)</sup>، ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١] بذلك يرفض النورسي رحمه الله اعتبار القوى المادية كالجاذبية والدافعة مصدرًا مستقلًا للإيجاد، ويرى أنه: "محال أن يجتمع اس أساس تلك الأسباب المادية وهو: القوة الجاذبة والقوة الدافعة معاً في جزء لا يتجزأ للقيام بتلك الصنعة الحكيمة"<sup>(٨٦)</sup>، فالقوة، ما لم تكن مدبرة بحكمة عليا، تظل عمياء وعاجزة عن تحقيق أي نظام أو غاية، مما يستلزم وجود فاعل مختار حكيم وقد دل القرآن الكريم على أن هذا الإحكام ليس صادرًا عن القوى ذاتها، بل عن قدرة الله تعالى قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]، وهذا يدل على أن ما في الكون من توازن إنما هو قائم بأمر الله لا بقوة طبيعية مستقلة، وأن الأسباب ليست إلا وسائل مسخرة ضمن نظام إلهي محكم.

4 انتظام الكون وابداعه يعجز عن تفسيره أي سبب طبيعي: أن النظام الشامل المتشابه في الكون لا يمكن أن يُنسب إلى الطبيعة أو المصادفة، لأن كل جزء في الخلق يحتاج إلى معرفة واسعة شاملة فلو افترضنا فرضاً محالاً أن كل سبب من الأسباب الطبيعية فاعل مختاراً، لسجدت تلك الأسباب جميعاً بكمال العجز أمام ذلك الإعجاز قائلة: سبحانك...، لا قدرة لنا انك انت العزيز الحكيم" حيث أن كل كلمة في كتاب الكون مرتبطة بجميع الكلمات الأخرى، مما يستلزم قدرة واحدة تتجاوز الأسباب كما يقول "كل حرف من حروفه و لا سيما ما كان ذا حياة له وجه ناظر إلى كل جملة من جمل الكتاب وله عين شاخصة إليها...، فالذي خلق عين البعوضة إذاً هو خالق الشمس أيضاً، والذي نظم معدة البرغوث هو الذي ينظم المنظومة الشمسية" وهذا الترابط العضوي العميق بين الأجزاء يمثل عنده حكمة قصدية لا يمكن تفسيرها بالصدفة أو الجهل

5. الذرات نفسها تشهد بالحكمة لكونها تختار من بين احتمالات غير متناهية حيث يستدل بالذرة تحديداً باعتبارها مثالاً على أن القوانين ليست عشوائية «بينما تراها تتردد بين إمكانات واحتمالات غير متناهية في صفاتها وأحوالها ووجودها، إذا بها تنتعش وتسلق طريقاً معيناً، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدد، وتتوجه إلى قصد معين فتنتج حكماً ومصالح تبهر الابواب" هذا السلوك القانوني يدل عنده على إرادة حكيمة تحكم الذرات

6. رفض إسناد الإبداع إلى الطبيعة أو الذرات يقول النورسي إن من ينسب الإبداع إلى الطبيعة يخلط بين القانون والفاعل، ويقع في وهم يشبه من رأى كتاباً داخل قصر وظن أن الكتاب هو الذي بنى القصر: "كما أن الشخص الجاهل إذا رأى في قصر عظيم كتاباً جامعاً لأنظمتها ظن أن ذلك

الكتاب هو الفاعل...، كذلك البعض يسمي نفسه بالطبيعة بسبب تغافله عن الخالق الجليل "فالتبيعة ليست أكثر من كتاب التعليمات وليست يد الصانع" (٨٧)، بذلك فإن قوانين الكون ليست سوى سنن أو أعراف وضعها الله، ولا يمكن أن توجد أو تعمل بذاتها، وإن ثبات القوانين، شمولها، ترابطها، شمولية النظام في الذرة كما في المجرة—كلها شواهد على إرادة عليا حكيمة.

### المطلب الثاني: تجليات الأسماء الحسنى في بنية القوانين الكونية

ينقل النورسي من نقد المفهوم المادي إلى بناء مفهوم توحيدي بديل، حيث لا تعود القوانين مجرد آليات محايدة، و ألعوبة للمصادفة كما ترى الفلسفة المادية بل تصبح تجليات للأسماء الإلهية ومظاهر للحكمة الإلهية، ولعل أبلغ تطبيق وتفصيل لهذه الرؤية يتجلى في تحليله العميق لأصغر مكونات المادة، وهو الذرة، حيث يكشف عن دلالات الحكمة الإلهية في تحولاتها، مستلهماً ذلك من الآية الكريمة: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] اي: «لا يغيب عن علمه أي شيء مهما دقّ وصغر» (٨٨)، لذا فإذا كان الله يعلم كل ذرة وحركتها وسكونها، فإن هذا العلم المطلق ينفي بالضرورة أي عشوائية أو مصادفة، ويثبت أن كل حركة تجري بقصد وتدبير وحكمة، وهو ما يؤسس لرؤيته القائلة بأن حركة الذرات ليست عشوائية، بل هي اهتزازات هادفة تحدث أثناء "كتابة قلم القدرة الإلهية للآيات التكوينية في كتاب الكون" حيث تعمل هذه الحركة المنظمة ضمن إطار تشريعي دقيق، قوامه مفهومان أساسيان هما الإمام المبين والكتاب المبين، فالأول هو "سجل للقدر الإلهي وكراس دساتيره"، أي أنه الخريطة الكلية والبرنامج الأزلي الذي يحدد مسار ووظيفة كل شيء في الوجود أما الثاني، وهو الكتاب المبين، فيمثل الجانب التنفيذي لهذا التقدير، فهو عنوان للقدرة الإلهية وإرادتها، والسجل الذي تحفظ فيه القوانين الكلية التي بموجبها يُفصل لكل موجود ثوبه الخاص وهيئته المحددة في عالم الشهادة (٨٩) لذا فإن هذه التحولات ليست عبثية، بل تخدم غايات جليلة وحكماً بالغة، فهي وسيلة لتجديد تجليات الإيجاد الإلهي باستمرار، مما يفسح المجال لظهور أكوان وموجودات جديدة. كما أنها تجعل من الأرض مزرعة واسعة لمعجزات القدرة، حيث تُعرض فيها محاصيل متنوعة من الكائنات كدلالة على هدايا الرحمة التي لا تنتضب، وبهذه الحركة تُظهر الذرات معاني الأسماء الحسنى، فتكتب في صفحة الكون المحدودة آيات تكوينية لا حصر لها. علاوة على ذلك، فإن هذه العمليات الدائرة في عالمنا الضيق هي بمثابة إعداد وتجهيز لمواد وزينة ونتائج لعوالم أوسع كعالم المثال وعوالم الآخرة (٩٠)، وتتجلى حكمة أخرى أعمق في كون هذه التحولات تمثل رحلة تنوير للذرات ذاتها فالكائنات الحية هي بمثابة مدارس ومضائف تدخلها الذرات الجامدة لتكتسب نوراً ولطافة ومعنى، وتترقى عبر مراتب الوجود من الجماد إلى النبات ثم الحيوان فالإنسان، لتتأهل وتكتسب جدارة تجعلها لائقة ببناء عوالم البقاء الخالدة (٩١). وبهذا التحليل الدقيق لحركة الذرة، يؤسس النورسي رؤيته للقوانين الكونية كتجليات مباشرة للأسماء الإلهية، ويفصلها في قوانين عظمى مترابطة، وهي كالاتي:

أولاً قانون الربوبية: الحكمة الإلهية تظهر في أن كل شيء مهياً لنقطة كمال محددة، فيقول رحمه الله

"إن الخالق الحكيم قد عين لكل شئ نقطة كمال يناسب ذلك الشئ، وخُدد نور وجود يليق به، فيسوق ذلك الشئ إلى نقطة الكمال تلك، باستعداد يمنحه إياه" أي أن النظام الكوني يخضع لربوبية الله، فكل موجود يتجه إلى غايته المخصوصة وفق حكمته، وهذا يعكس ترتيباً ربوبياً متقناً.

ثانياً: قانون الكرم: يتجلى في منح الكائنات دوافع وأدواراً من حيث لا تحسب لنقوم بوظائفها، مما يربط الفعل الإلهي مباشرة بحياة المخلوقات ثالثاً: قانون الجمال والتحسين: كل موجود يظهر جماله وفق ترتيب الكائنات وأنوار الله يقول رحمه الله "حقيقة كل شئ تتوجه إلى بعض أسماء من الاسماء الإلهية الحسنى ومرتبطة كماء وهي كالمرآة العاكسة لأنواره فذلك الشئ مهما اتخذ من اوضاع جميلة، فالجمال يعود الى شرف ذلك الاسم وسموه (٩٢). هذا الجمال الكوني ظاهر لمن تأمله، إذ إن ما أودعه الله في الكون من حسنٍ ونظامٍ يجذب الإنسان إلى محبته ويدعوه إلى شكر خالقه، كما يوجّه القرآن إلى النظر في جمال السماء وزينتها، لأن إدراك جمال الكون هو أقرب وسيلة لإدراك عظمة الخالق، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [لق: ٦] الا إن الأبصار قد تغشى فلا تدرك الدلائل ولا تتأمل في جمال الكون، كما قيل قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... وَيُنَكِّرُ الْقَمَّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ (٩٣) من ذلك فعلى الإنسان ان يستفيد من هذا المعنى بأن يجعل التأمل في جمال الكون عادةً يومية، لا نظرة عابرة؛ فينظر بعين التفكر ليزداد إيماناً وشكراً. كما يستفيد المرءي بأن يربط المتعلمين بمظاهر الجمال في الكون، ليغرس فيهم حب الخالق وتعظيمه. وليس عبثاً.

رابعاً: قانون الرحمة

الرحمة الإلهية تتجلى في عناية الله بالمخلوقات ومنحها النعم المستمرة، وإدامة أثر الكمالات التي تحقق حياتها وكمالها: "فمثلاً يُبقي سبحانه وتعالى معاني الكمالات التي ينالها الإنسان وثمراته حتى إن شكر المؤمن الشاكر وحمده على ما يأكله من فواكه زائلة، يعيده سبحانه إليه مرة أخرى على

صورة فاكهة مجسمة طبية<sup>(٩٤)</sup> اي ان الله تعالى يرحم خلقه عبر استمرار العطاء والمنفعة لهم، ويمنح كل موجود ما يلزم من وسائل لتحقيق كماله ووظيفته، فلا يُترك شيء بدون عناية، وهذا يُظهر رحمة الله في النظام الكوني.

خامساً: قانون الحكمة: "ان الخالق الحكيم سبحانه لا يسرف في شيء قطء ولا يعمل عبثاً مطلقاً

"فمن مقتضى الحكمة الالهية ادراج هذه الذرات الارضية الجامدة وغير الشاعرة والتي انجزت وظائف جليلة في الارض في قسم من ابنية الآخرة التي هي حية وذات شعور بكل ما فيها باحجارها واشجارها بدلالة الآية الكريمة (يوم تبدل الارض غير الارض) (ابراهيم: ٤٨) وبإشارة الآية الكريمة (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) (العنكبوت: ٦٤) ولأن ترك ذرات الدنيا المتهمة في الدنيا نفسها أو رميها إلى العدم، إسراف وعبث<sup>(٩٥)</sup> سادساً: قانون العدل: "إن كثير جداً من اثار الدنيا ومعنوياتها وثمراتها ، وأعمال المكلفين كالجن والإنس، وصحائف أفعالهم، وأرواحهم وأجسادهم، تُرسل إلى سوق الآخرة ومعرضها، فمن مقتضى العدل والحكمة أن تُرسل أيضاً الذرات الأرضية التي رافقت تلك الثمرات والمعاني وخدمتها مع أنقاض هذه الدنيا التي ستدمر إلى العالم الآخروي وتستعمل في بنائه<sup>(٩٦)</sup>

سابعاً: قانون العلم المحيط: يظهر في أن كل فعل وكل حركة وكل جزء من الموجودات مسجل في علم الله المحيط، ولا يخفى شيء عن تدبيره "يسجلها قلم القدر الإلهي الذي لا يعزب عنه شيء، وذلك بمقتضى العلم المحيط الإلهي" اي ان النظام الكوني مترابط بدقة وفق علم الله الكامل والمحيط، ويضمن أن كل فعل وحركة له سبب و غرض وحكمة، فلا شيء في الكون يحدث عبثاً أو خارج عن تقدير الله ويرى النورسي أن هذه القوانين السبعة "كل واحد منها يكشف طرفاً من اسم الله الأعظم، ويُبرز مظاهر التوحيد"<sup>(٩٧)</sup> فهي ليست مجرد أوصاف للخلق، بل تمثل الهندسة الإلهية الكامنة في بنية الوجود.

### المبحث الخامس: مظاهر الحكمة الإلهية في نظام الرزق

إن نظام الرزق في المنظور القرآني ليس مجرد آلية بيولوجية لحفظ الحياة، بل هو مسرح واسع تتجلى فيه حكمة الخالق وتتعرف من خلاله الخليقة على أسمائه وصفاته. وفي هذا السياق، يقدم النورسي رؤية تأصيلية عميقة تعتبر الرزق مرآة لاسم الله الحكيم، حيث إن كل جزء من هذا النظام، من الغاية الكبرى إلى أدق تفاصيله، قد وُضع في موضعه اللائق لتحقيق غايات ربانية عليا. ويهدف هذا المبحث إلى استجلاء دلائل هذه الحكمة وذلك من خلال تحليل مطلبين متكاملين: الحكمة الغائية المتمثلة في الشكر، وحكمة الابتلاء الكامنة وراء تفاوت الأرزاق

#### المطلب الاول: الحكمة الغائية لنظام الرزق

الحكمة تقتضي أن يكون للفعل غاية نبيلة، فالغاية الكبرى من خلق الكون هي (الشكر)، وأن نظام الرزق هو الوسيلة الأكثر فعالية لتحقيق هذه الغاية، فالحكمة الإلهية لم تجعل الرزق مجرد وقود للحياة، بل صممته ليكون دعوة دائمة لمعرفة المنعم وشكره، حيث أن هيئة الكون ومحتوياته مصممة لتقضي إلى الشكر. وكما يقول: "إذا ما أنعم النظر في الكائنات لتبين: ان هيئة الكون ومحتوياته قد صممت بشكل ووضعت على نمط، بحيث تنتج الشكر وتقضي اليه، فكل شيء منتطع ومتوجه من جهة الى الشكر... ،بل كأن أرفى سلعة من بين السلع التي ينتجها مصنع الكون هذا هي الشكر". ويتجلى هذا القصد الحكيم في كون تصميم الأرزاق بجمالها الفائق ورائحتها الزكية وطعمها اللذيذ يتجاوز بكثير مجرد الحاجة البيولوجية للبقاء، فلو كانت الغاية مجرد الإطعام، لكفى نوع واحد من الطعام، لذا فإن هذا الفائض من الجمال واللذة هو دليل قاطع على أن الغاية أسمى، وهي دفع المخلوق إلى الشعور بالتقدير والامتنان ، ودعوة إلهية صريحة للشكر وفق قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٧٣). وكما يؤكد النورسي ذلك بقوله: "ثم ان ما تحمله النعم التي هي الرزق بعينه من صور جميلة زاهية بديعة، ومن روائح زكية طيبة شذية، ومن طعوم لذيدة ومذاقات طيبة، ما هو إلا دعاء وأدلاء الى الشكر"<sup>(٩٨)</sup>.

#### المطلب الثاني: دلالة الحكمة الإلهية في تفاوت الأرزاق

يرى النورسي أن التفاوت المشاهد في الأرزاق ليس دليلاً على العبث ولا على غياب الحكمة، بل هو مظهر من مظاهر التدبير الإلهي الذي جعل من السعي للرزق ميداناً للاختبار. وينطلق في ذلك من أصل قرآني راسخ، وهو أن الله تعالى هو الرزاق لكل مخلوق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، فالرزق في أساسه منصبٌ تحت المشيئة الإلهية وتقدير الله ومن هذا الأساس يفرق النورسي بين نوعين من الرزق. فأما الأول فهو الرزق الحقيقي الفطري الضروري الذي تقوم عليه معيشة الإنسان، وقد جعله الله تعالى تحت تعهده ورحمته ما دام الإنسان في حدود حاجاته الفطرية. وأما النوع الثاني فهو الرزق المجازي أو الاصطناعي، وهو الزائد عن قدر الحاجة، ولا يدخل ضمن التكفل الإلهي المباشر، بل يخضع لإحسان الله، ف«أما أن يمنحه، وأما أن يمنعه»<sup>(٩٩)</sup>، ومن خلال هذا التمييز يؤكد أن التفاوت في هذا الرزق المجازي هو من سنن الابتلاء في الحياة، إذ يختبر الله به الغني والشحيح كما يختبر الفقير والصابر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

(الأنبياء: ٣٥)، وأن تساوي الناس في الأرزاق يؤدي إلى تعطيل فضائل كبرى كالشكر والصبر والتواضع والإيثار، ولذلك قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد: ٢٦) ثم ينتقل النورسي إلى بيان العلاقة العميقة بين الرزق من جهة، والحرص والقناعة من جهة أخرى. فالحرص في نظره ليس مجرد رغبة في الزيادة، بل هو انحراف في التوكل وخلل في القلب يقود إلى نتائج ثلاث: أولها عدم القناعة، وثانيها الخيبة والخسران، وثالثها فساد الإخلاص والعمل الأخروي<sup>(١٠٠)</sup>. ويصرح بأن "الحرص مثلما أنه عزوف وإعراض عن الشكر، فهو أيضًا قائد الحرمان ووسيلة الذل والإهانة"<sup>(١٠١)</sup> ولهذا فإن الإنسان الذي يتجاوز حدود حاجته ويتعلق بالرزق تعلقًا مرضيًا يخرج من دائرة الطمأنينة التي ضمنها الله لمن اتقى واستقام، ويستدل النورسي لذلك بوقائع تاريخية، فيشير إلى أن «حصول اليهود على أرزاقهم كفافًا بطرق غير مشروعة ممزوجًا بالذل والمسكنة بسبب حرصهم، وحصول البديين المتحلين بالقناعة على رزقهم الكافي وعيشهم العزيز الكريم يؤيد دعوانا تأييدًا كاملاً»<sup>(١٠٢)</sup> وهذا الفهم يجد تأييده في الحديث الشريف الذي يقرر أن حقيقة الغنى ليست في كثرة المال، بل في طمأنينة القلب، حيث قال النبي ﷺ: ((ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس))<sup>(١٠٣)</sup> وبعد ذلك يبين النورسي جانبًا آخر من حكمة الله في باب الأرزاق، وهو أن قدرة الله تتجلى في إخراج الكثرة من القلة، فينكر أن «إخراج كميات هائلة من الأطعمة من بذرة واحدة صلدة لا تزن درهما... لهو حقيقة الأرزاق من لدن يد غيبية»<sup>(١٠٤)</sup>، وهذا يدل على أن الرزق مربوط بالقدرة الإلهية لا بمجرد الأسباب، فالأسباب مطلوبة لكنها ليست الخالقة، وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى في قوله: ((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا))<sup>(١٠٥)</sup>، فالطير تسعى وتغدو وتروح، لكنها تتوكل على من بيده الرزق كله. وعندما ننظر أقوال المفسرين فإننا نجد أن الشعراوي رحمه الله يؤيد رؤية النورسي تأييدًا صريحًا، بل يزيدها تفصيلًا، فهو يرى أن قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يلزم الإنسان بالأدب مع قسمة الله وألا يغتر أو يحزن، لأن وراء العطاء والمنع حكمة لا يعلمها إلا الله. ويحذّر الشعراوي من الفهم السطحي الذي يظن أن كثرة الرزق إكرام وقلته إهانة، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنُ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (الفجر: ١٥-١٧)، ثم يعلق بقوله: «مخطئ أنت يا من اعتبرت النعمة إكرامًا من الله، وأنت مخطئ أيضًا يا من اعتبرت سلب النعمة إهانة من الله؛ إن النعمة لا تكون إكرامًا إلا إذا وفقك الله في حسن التصرف فيها». كما يوضح معنى «بغير حساب» بأنه رزق قد يأتي من حيث لا يتوقعه الإنسان<sup>(١٠٦)</sup> كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣) وبهذا يتبين أن الشعراوي لا يوافق النورسي فقط، بل يعزز رؤيته ويؤكد أن التفاوت في الأرزاق جزء من الامتحان الإلهي، وأن السعي مطلوب لكن التعلق بجهد الإنسان وحده خطأ، وأن الرزق بيد الله يعطيه لحكمة ويمنعه لحكمة، وأن الحرص لا يزيد رزقًا وأن القناعة ترفع صاحبها بذلك قدم النورسي رؤية متكاملة ومتعددة الأبعاد للحكمة الإلهية في نظام الرزق. فهو لا يراه نظاماً عشوائياً، بل نظاماً محكماً يقوم على غاية الشكر، ويتجلى فيه تدبير الواحد القهار، ويحكمه قانون الافتقار الذي يربي على التوكل، ويستخدم فيه التفاوت كأداة للابتلاء وتزكية النفوس. وبهذا الفهم، يتحول الرزق من مجرد همّ مادي يشغل الإنسان إلى نافذة معرفية وإيمانية يطل منها على حكمة خالقه ورحمته وتدبيره، فيرتقي من السعي خلف الرزق إلى السعي نحو معرفة الرزاق.

## الخاتمة

يتبين من خلال هذا البحث أن فكر النورسي يقدم رؤية متكاملة للحكمة الإلهية في الكون والإنسان. فالكون في نظره قائم على نظام دقيق يعكس إرادة إلهية حكيمة، كما أن الظواهر الطبيعية ليست أحداثاً عشوائية، بل مظاهر لسنن إلهية تحكم العالم كما يظهر أن نظام الأرزاق وتفاوتها بين الناس يمثل جزءاً من هذا النظام الحكيم، حيث يؤدي دوراً تربوياً في بناء القيم الأخلاقية لدى الإنسان وبذلك يتحول الكون في الرؤية النورسية إلى مجال واسع للتفكير في آيات الله، حيث يقود التأمل في نظامه وتوازنه إلى إدراك حكمة الخالق وعظمته ومن خلال تحليل المباحث السابقة، خص البحث إلى جملة من الحقائق والنتائج التي تشكل جوهر الرؤية النورسية لمظاهر الحكمة الإلهية، وهي كالآتي:

### أولاً: الكون كتاب مقروء، ينفى العشبية والمصادفة

أثبت البحث أن النظام الكوني، من انتظام النجوم إلى حركة السحاب، يمثل "كلمات قدسية" دالة على وحدانية الخالق. وقد دحضت الرؤية النورسية فرضية "المصادفة" بإثبات أن اجتماع الأضداد (كنمو النباتات المختلفة من تربة واحدة) وانسجام العناصر المتنافرة، لا يمكن تعليقه إلا بإرادة حكيمة مهيمنة

### ثانياً: قدسية التطهير والميزان كتجليات للأسما، الحسن

كشفت الدراسة أن التوازن البيئي في فكر النورسي ليس مجرد آلية بيولوجية، بل هو تجلٍ لاسم الله القدوس واسم الحكيم، فالكائنات -حتى الحشرات والميكروبات- هي موظفات ربانية ومهندسات بيئية تعمل بصرامة للحفاظ على طهارة قصر الكون، مما يجعل من المحافظة على البيئة واجباً عقدياً وامتثالاً لنواميس الفطرة.

### ثانياً: القوانين أوهاام مؤثرة والحقيقة للقدرة الإلهية

أكد البحث الفرق الجوهرية بين القانون والإرادة فالقوانين الطبيعية عند النورسي هي أمور اعتبارية (ذهنية) لا تملك قوة التنفيذ بذاتها، وإنما هي مسطرة يخط بها قلم القدرة. وقد تبين أن حركة الذرات وتحولاتها ليست عشوائية، بل هي اهتزازات لكتابة الآيات التكوينية وتجديد الخلق

### رابعاً: الضعف سبب الرزق والشكر غاية الوجود

أوضح تحليل نظام الرزق حكماً بالغته تقلب الموازين المادية؛ حيث أثبت النورسي أن الرزق يتناسب طردياً مع العجز والافتقار لا مع القوة والذكاء (كما في حالة الجنين والوحوش). وخلص البحث إلى أن الغاية القصوى من مائدة الكون المزيّنة ليست مجرد الأكل، بل إثارة شهية الشكر والامتنان للمنعم وختاماً، فإن قراءة الكون بمنظار الحكمة الإلهية كما يطرحها النورسي، تنقل الإنسان من ضيق الطبيعة الصماء إلى سعة المعرفة بالله، ليصبح الكون محراباً للتفكير، شاهداً بلسان الحال والمقال على الحق اليقين، كما قال تعالى ﴿سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَقَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَنْبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

### هوامش البحث

- (1) ينظر الجوهرية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الفراهي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٧٣٢٠٧٣١/٢.
- (2) ينظر محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، تهذيب اللغة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٨/٦.
- (3) الشريف الجرجاني، التعريفات، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٣.
- (4) أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة: الأولى، عالم الكتب، د.م، ١٤ صفر ١٤٣٢، ١/٥٤٠.
- (5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٨، ذو الحجة ١٤٣١/ ١٠٩٥.
- (6) زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ٨، ذو الحجة ١٤٣١ هـ، ٧٨.
- (7) ابن المنظور، لسان العرب، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، دار صادر - بيروت، ١٢/١٤٠.
- (8) د أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عالم الكتب، ١/٥٤٠.
- (9) ينظر ابن المنظور، لسان العرب، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، دار صادر - بيروت، ١٢/٥٧٨.
- (10) ابن فارس، مقاييس اللغة، الطبعة: الثانية، (١٣٨٩ - ١٣٩٢ هـ) (١٩٦٩ - ١٩٧٢ م)، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٤٨/٥.
- (11) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٣٦٦.
- (12) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/١٩٧٤.
- (13) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ٢/٨٠٦.
- (14) الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ١٨٨.
- (15) مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ غلوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية على ٢/٣٧٦ Idorar.net الانترنت.
- (16) سعيد النورسي، اللغات، الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ ١٩٩٣ م، دار سوزلر استانبول، ٥٢٨.
- (17) سعيد النورسي، المنثوي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م، دار سوزلر استانبول، ٤٢٢.

- (18) يراجع سعيد النورسي، المعات، ٥٢٨، ٥٣٠، سعيد النورسي، الكلمات، ٣٣٨، ٣٣٤
- (19) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة احسان قاسم، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، دار سوزلر. استانبول، ٤٥٣- ٤٥٤
- (20) ينظر مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، دار الفكر - دمشق سورية، ٢٠٦
- (21) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ٤٥٣- ٤٥٤
- (22) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، د.ط، ٢٠٠٥م، نهضة مصر - القاهرة، ٢٦٧
- (23) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، ٤٥٣- ٤٥٤
- (24) ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الفكر. دمشق - سورية، ١٧/ ٤٤
- (25) ينظر الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط، ١٩٨٤ م ١٤٠٤. هـ، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٧/ ٥٢. ٥٦
- (26) ينظر وهبة الزحيلي التفسير المنير - الزحيلي، ١٧/ ٤٥
- (27) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٨ ذو الحجة ١٤٣١، ص ٢٣٤
- (28) سعيد النورسي، الكلمات، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، ٢٤٦
- (29) أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الوطن، الرياض - السعودية، ٢/ ١٢٩
- (30) ينظر ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط عطاءات العلم ٢/ ٢٤١
- (31) سعيد النورسي، الكلمات، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، ص ١٧٧
- (32) سعيد النورسي، الكلمات، ٧٢٠
- (33) ينظر جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، الأولى - ١٤٢٠ هـ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية -، ٩/ ١١٤
- (34) سعيد النورسي، الكلمات الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، ص ٧١٦-٧١٧، المكتوبات، ص ١٨-١٩
- (35) عبد المجيد بن محمد الوعلان، الدلالات العقدية للآيات الكونية، الطبعة الأولى: ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، دار ركائز للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية، ص ٦٣
- (36) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ٨٠٧
- (37) سعيد النورسي، مكتوبات ١٩
- (38) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ٨٠٧
- (39) ينظر الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠/ ١٨٢
- (40) سعيد النورسي، كلمات، ٨٠٩
- (41) ينظر عبد المجيد بن محمد الوعلان، الدلالات العقدية للآيات الكونية ص ٣١٩
- (42) أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، تفسير مراغي، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١١/ ٦٨
- (43) ينظر سعيد النورسي، المكتوبات، ص ١٩-٢٠
- (44) ينظر حمود الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١/ ٣٧١
- (45) سعيد النورسي، مكتوبات ٢٥٣، سعيد النورسي، المنثوي، ٧٤
- (46) الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ، دار الجيل الجديد - بيروت، ٢/ ٤٢
- (47) ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ٢٣٤
- (48) سعيد النورسي، المنثوي، ٣٧٩
- (49) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ص ٦٨١
- (50) وهبة الزحيلي، التفسير المنير - الزحيلي، ٢/ ٦٠

- (51) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ص ٦٨١
- (52) سعيد النورسي، المكتوبات، ٢٩١.٢٩٠
- (53) سعيد النورسي، الكلمات، ص ١٥٣
- (54) سعيد النورسي، الكلمات، ص ٧١٤
- (55) أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، تحقيق د. مجدي باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٠/ ٤٩٨
- (56) سعيد النورسي، الكلمات، ص ٨١٠
- (57) ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير - الزحيلي ٢/ ٦١، محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم «سورة الفرقان»، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ، د.ن، ص ٢١٢
- (58) ينظر سعيد النورسي، الشعاعات، ص ١٤٤
- (59) ينظر سعيد النورسي، الشعاعات، ص ١٤٥
- (60) سعيد النورسي، الكلمات، ص ٤٩٢-٤٩٣
- (61) ينظر سعيد النورسي، الشعاعات ص ١٤٥
- (62) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ص ٤٨٦
- (63) سعيد النورسي، الكلمات، ص ٣١٣
- (64) ينظر سعيد النورسي، المكتوبات ص ١١٢
- (65) ينظر سعيد النورسي، المكتوبات، ١١٣.١١٢
- (66) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ٢/ ٦٢
- (67) ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٢٧٦
- (68) المصدر نفسه، ٥١٧ .
- (69) الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، د.ط، عام ١٩٩٧ م، مطابع أخبار اليوم، ١٢ / ٧٥١٠
- (70) ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٥١٨
- (71) ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٤١٢.٤١١
- (72) المصدر نفسه، ٤١٢.٤١١
- (73) محمود محمد غريب، سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ. ١٩٨٨ م، دار التراث العربي القاهرة، ١٣٣
- (74) ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٥١٩
- (75) المصدر نفسه، ص ٥٢٣
- (76) ينظر محمد هلال، تفسير القرآن الثري الجامع، ٢٧/ ١٩٠
- (77) ينظر إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، د.ط، دار الفكر - بيروت، روح البيان، ٨ ذو الحجة ١٤٣١، ٩/ ٣٤٨ - ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٥٢٥.٥٢٤
- (78) ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٥٢٢.٥١٩
- (79) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ١/ ٢٠٣ ت عبد الباقي، رقم ٢٢٣
- (80) ينظر سعيد النورسي، اللغات، ص ٥٢٦
- (81) ينظر المصدر نفسه، ص ٥٢٥-٥٢٦
- (82) ينظر سعيد النورسي، منثوي، ص ٤٢٥
- (83) ينظر سعيد النورسي، منثوي، ص ٤٢٥

- (84) راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا، ٩ / ٢
- (85) محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ٩.٧/٢
- (86) ينظر سعيد النورسي، منثوي، ٤٢٥
- (87) ينظر سعيد النورسي، منثوي ٤٢٥.٤٢٢
- (88) ينظر محمد هلال، تفسير القرآن الثري الجامع، الطبعة: الأولى، ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م، دار المعراج، ودار جوامع الكلم، دمشق - سوريا ٤٦ / ٢٢
- (89) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ص ٦٦٢
- (90) ينظر المصدر نفسه، ص ٦٥٥ - ٦٥٩
- (91) ينظر المصدر نفسه، ص ٦٦٢
- (92) ينظر سعيد النورسي، الكلمات، ص ٦٦٢.٦٦٣
- (93) ينظر المراغي، تفسير المراغي، ١٤٧/٢٢
- (94) ينظر سعيد النورسي، الكلمات ص ٦٦٤. سعيد النورسي، الشعاعات، ص ٢١٤-٢١٥
- (95) سعيد النورسي، الكلمات ٦٦٣، سعيد النورسي، اللمعات، ص ٥٢٨
- (96) سعيد النورسي، الكلمات ٦٦٤، سعيد النورسي، اللمعات، ص ٩١
- (97) ينظر المصدر نفسه، ص ٦٦٤
- (98) ينظر سعيد النورسي، المكتوبات، ٤٦٠. ٤٥٩
- (99) ينظر سعيد النورسي، الشعاعات، ص ٢٢٠
- (100) ينظر سعيد النورسي، اللمعات، ص ٢٢٠-٢٢٣
- (101) سعيد النورسي، المكتوبات ص ٤٦١
- (102) سعيد النورسي، اللمعات ص ٢٢١
- (103) البخاري، صحيح البخاري، ٥/ ٢٣٦٨، كتاب الرقاق، باب الغنى عن النفس، رقم ٦٠٨١
- (104) سعيد النورسي، الشعاع ص ٢١٩
- (105) الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ١٦٦، باب في التوكل على الله، رقم ٢٣٤٤، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
- (106) ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي ٩٠٢-٩٠١/٢

### قائمة المصادر والمراجع

١. ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ط ٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩-١٣٩٢هـ/١٩٦٩-١٩٧٢م.
٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة.
٧. بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٨. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩. الجرجاني، الشريف، التعريفات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١. الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط١٠، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٢. الرحيلي، حمود بن محمد، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، ط١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٣. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٤. السمعاني، أبو المظفر، تفسير السمعاني، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٥. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٦. غريب، محمود محمد، سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، ط٣، دار التراث العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.
١٧. الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٣١هـ.
١٨. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة.
١٩. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
٢٠. الماتريدي، أبو منصور، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢١. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢. بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٣. النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٤. النورسي، سعيد، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ط٣، دار سوزلر، إسطنبول، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٥. النورسي، سعيد، اللغات، ط١، دار سوزلر، إسطنبول، ١٣١٣هـ/١٩٩٣م.
٢٦. النورسي، سعيد، المكتوبات، دار سوزلر، إسطنبول.
٢٧. النورسي، سعيد، الشعاعات، دار سوزلر، إسطنبول.
٢٨. النورسي، سعيد، المثنوي العربي النوري، ط٤، دار سوزلر، إسطنبول، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٩. الوعلان، عبد المجيد بن محمد، الدلالات العقدية للآيات الكونية، ط١، دار ركائز، الرياض، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
٣٠. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٣١. الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، الدار النموذجية، بيروت-صيدا، ١٤٣١هـ.
٣٢. إسماعيل حقي الإستانبولي، روح البيان، دار الفكر، بيروت.
٣٣. مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية. (dorar.net).
٣٤. هلال، محمد، تفسير القرآن الثري الجامع، ط١، دار المعراج، دمشق، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.